# التعليم المطور للانتساب

# تاريخ الفكر الاجتماعي

د. أحمد الجمعان الغامدي

## المستوى الثالث 1434 – 1435

من إعداد وتنسيق

محمد الناهض

## المحاضرة الأولى

## البدايات الأولى للتفكير الاجتماعي

يرجع كثير من المفكرين البدايات الأولى للتفكير الاجتماعي إلى فلاسفة اليونان ، الذين كانت فلسفتهم تعبر عن الصورة المنظمة للتفكير الإنساني ، غير أن التربة الخصبة لتلك البدايات كانت في بلاد الشرق القديم

**مثل الهند والصين ولدى المصريين .**

## التفكير الاجتماعي في مصر

تعتبر مصر من أقدم مواطن الحضارة في العالم ، كما تميز تاريخها بالاستمرار والاطراد فهو أطول التواريخ المعروفة وأكثرها اطراداً ، بل هو قصة متصلة الحوادث إلا في فترة قصيرة محدودة .

**المصريون ونظام الحكم** : نزحت إلى مصر منذ أقدم العصور قبائل وجماعات عاشت على الصيد والزراعة لاسيما مع وجود مصدر الحياة بعد الله هو النيل وما يجلبه من رزق وخير ، وقد لزم الأمر توثيق التعاون بينها بل استلزم قيام حكومة متحدة تسيطر على البلاد من أدناها إلى أقصاها ، وبالفعل قامت أول حكومة اتحادية شملت مصر كلها حوالي **سنه 4242 ق . م** وكانت **عاصمة الدولة هليوبوليس** مكان **عين شمس** الحالية غير أن هذا الاتحاد لم يدم طويلاً حيث انقسم إلى مملكتين : الوجه القبلي والوجه البحري ، وبدأت منذ ذلك التاريخ أصول الحضارة المصرية حيث يقسم تاريخ مصر إلى : الدولة القديمة، الوسطى، والحديثة .

**الحكومة المركزية :**

غير أن فكرة الحكومة المركزية التي كانت مطلوبة لضمان إستمرار وحدة البلاد تحولت على التدريج إلى ظاهرة شديدة التعقيد ، حيث أنه في ظل تلك الوحدة مع سوء المواصلات بدأت البيروقراطية تدق أعمدتها في أعماق الأرض المصرية ، بل وفي العقلية المصرية ، ولذلك فإن هناك من يرجع تاريخ البيروقراطية إلى الحكومات المصرية — المتتالية كجهاز — لم يتطور في أدائه لوظيفته ، وإنما أضيفت عليه العهود الطويلة المتتالية صفاتا سيئة ، من أظهرها المركزية(١) . ولقد كانت المركزية مطلبا طبيعيا — كما يرى ماكس فيبر — في تلك الأزمان الغابرة لضمان وحدة دولة كانت منقسمة على نفسها ، حتى أن هذا النموذج الذي صنعته البيروقراطية المصرية ، أصبح مثالا يحتذى في التنظيمات الإدارية الأخرى(٢) .

وهكذا نرى أن الحكومة ونظام الحكم والإدارة كظواهر اجتماعيه تنظيميه **نشأت لأول مره في مصر** مما يدل على النضج المبكر للفكر الاجتماعي لدى أجدادنا الأوائل .

**المصريون والأسرة :** كانت الأسرة كنظام اجتماعي من أهم الأنظمة الاجتماعية التي حرص المصريون على الاهتمام بها وتدعيمها ، وكانوا قد اعتادوا على منذ أزمنة طويلة على التبكير بالزواج ، لأنه يعتبر من أهم الدعائم التي يقوم عليها المجتمع ، بالإضافة إلى اهتمامهم بالتربية كظاهرة اجتماعية .

**المصريون والمرأة :** على الرغم من وضع الأب على رأس الأسرة المصرية القديمة ، فقد رفع المجتمع المصري القديم من شأن المرأة ، باعتبار الأم وفضلها في التربية وواجب طاعتها واحترامها وتقديرها وفضلها في الحمل والولادة ثم بعد ذلك أنشأتك تنشئة صالحة ، وعدم تفضيل الزوجة عليها .

ماذا نلاحظ في التشريعات المصرية وحين نتحدث أيضا عن التشريعات الهندية والصينية ؟

سنجد أمور منها ما سنتحدث عنه مستقبلاً في ابن خلدون وهو أن : هذه التشريعات تشريعات اجتماعية أو وصايا دون الوصول إلى فكرة القوانين .

**المصريون والتشريعات الاجتماعية :** هناك بعض الصور التي توضح تماسك العلاقات الأسرية الاجتماعية عند المصري منها طقوس مراسم الزواج وقد وجد أقدم عقد زواج مصري بالمتحف المصري ويعود على القرن الرابع قبل الميلاد ابرم بين (أمحوتب) و (تاحاتر) ونصه :

يقول (أمحوتب) لـ (تاحاتر) : « لقد إتخذتك زوجة ، وللأطفال الذين تلديهم لى كل ما أملك وما سأحصل عليه ، والأطفال الذين تلديهم لى يكونون أطفالى ، ولن يكون فى مقدورى أن أسلب منهم أى شيء مطلقاً لأعطيه إلى آخرين من أبنائى ، أو إلى أى شخص فى الدنيا . سأعطيك من النبيذ والفضة والزيت ما يكفى لطعامك وشرابك كل عام . ستضمنين طعامك وشرابك الذى سأجريه عليك شهريا وسنويا ، وسأعطيه لك أينما أردت ، وإذا طردتك أعطيتك خمسين قطعة من الفضة ، وإذا إتخذت لك ضرة ، أعطيتك مائة قطعة من الفضة » . وقد شهد على هذا العقد ستة عشر شخصا .

ويدل ذلك على أنهم قد عرفوا التشريعات الاجتماعية مثل الزواج وتشريعاته المتمثلة في وجود مقدم صداق ومؤخر صداق ونفقه من الزوج على زوجته بالإضافة إلى الصورة التعويضية المادية في حالة طردها أو الزواج عليها بأخرى وتنظيم المواريث وهذه إشارة إلى ما كانوا عليه من تقدم .

**المصريون والأخلاق وآداب السلوك :**

كانت الأسرة المصرية محل تقديس من الجميع ، وكانت المرأة التى ترتكب جريمة الخيانة الزوجية تحرق ، وكان شريكها يلقى به فى النهر للتماسيح أو ليموت غرقاً . ومن ثم كانت قواعد الأخلاق وآداب السلوك التى تواضع عليها الناس فى مصر القديمة ، كانت تقضى بالإبتعاد عن الإثم والفجور ، وإنزال العقاب الشديد على كل من ينحرف عن هذه القواعد ...

**آداب السلوك ذكرها الدكتور بشكل سريع وهي :-**

1_ احترام العلم والعلماء والمفكرين . 2 _ مقاومة الفساد . 3 _ أن الإنسان إذا كان لديه خير يبذل منه للآخرين. 4_ احترام الرجل لبيوت الآخرين فلا يدخل بيت أحدهم في غير وجوده وحتى في وجود صاحب البيت لا يدخل حتى يؤذن له والابتعاد عن أماكن وجود النساء لأنها تجلب الفتنة والفساد .

5 _ علاقة الرجل بزوجته وأسرته .

**المصريون والتنشئة الاجتماعية :**

من أهم الأقوال التى تؤكد مدى إيمان المصريين بالتنشئة الاجتماعية السليمة قول « بتاح حوتب » الذى يتشابه مع أقوال الحكماء فى مختلف عصور مصر القديمة . ويزيد عليه ترتيبا لمسئوليات الآباء وواجبات الأبناء — فقرة ٣٨ من حكمته السالفة الذكر — حيث يقول :

« إذا كنت رجلا عاقلا فليكن لك ولد تقوم على تربيته . فذلك شيء يسر له الرب ، فإذا إقتدى بك ونسج على منوالك . وإذا هو نظم من شئونك ورعاها ، فأعمل له كل ما هو طيب ، لأنه ولدك وقطعه من نفسك وروحك ، ولا تجعل قلبك يجافيه . فإذا ركب رأسه ولم يأبه لقواعد السلوك فطغى وبغى وتكلم بالإفك والبهتان فقومه بالضرب ، حتى يعتدل شأنه ويستقيم قوله ، وباعد بينه وبين رفقاء السوء حتى لا يفسد ، فإن من يسير على دليل لا يضل »(١) .

ومن هذا نرى أن تلك الوصية تعبر أصدق تعبير عن الوظيفة الأساسية لعملية التنشئة الاجتماعية السليمة ، التى تتفق مع أحدث النظريات العلمية الحديثة فى علم الاجتماع وفى علم النفس التربوى . وبالتالى تؤكد أسبقية المصريين القدماء فى الفكر الاجتماعى .

**ملاحظة** : النصوص التي ذكرها الدكتور ليست للحفظ إنما للفهم والإدراك لأن من الممكن أن يأتي على هذه الأجزاء سؤال في الاختبار واهم النقاط التي تحدث عنها الدكتور : الطلاق والنفقة، ضرب الأبناء ، رفقاء السوء وهي ليست نصوصاً للحفظ لكن نفهم هذه الوصايا والنصائح ... كما أن هذه الوصايا

والنصائح ليست من **اليوتوبيا : أي الفكر الخيالي المثالي** وليست من البحوث أو النصوص التاريخية إنما هي تشريعات ونصائح فقط .

## التفكير الاجتماعي في الهند

تتميز الهند بآدابها القديمة وتراثها الفلسفي ، وتشريعاتها المعروفة باسم ( **قوانين مانو**) التي تعتبر من أقدم التشريعات الهندية التي وضعتها **البراهما** بقصد إطلاع الأجيال التالية على أوضاع الحياة الاجتماعية والأعراف والتقاليد ، وقد جاءت مرآه صادقة تعكس أوضاع المجتمع الهندي القديم ، وصورت المانويه هذا النظام على أنه وحي من **الإله (براهما)** نفسه فلا بد أن ينصاع له المجتمع ولا يرى عنه بديلاً. **هذا النظام يحتوي على فكرتين أساسيتين : الأولى** : جمود الوضع الاجتماعي فلا يتغير الوضع الطبقي مطلقاً من الأصول إلى الفروع . **الثانية** : الخضوع لما يفرضه الدين على أفكار كل طبقة من التزامات ووظائف اجتماعيه .

**قسم مانو المجتمع الهنـــــــــــدي إلى أربع طبقات :-**

| الطبقة | ممثليها | وظيفتهم |
|---|---|---|
| **البراهما** | **رجال الدين والحكام** | أكثر أفراد المجتمع امتيازاً ، وهم وحدهم الذين يعلمون الناس **أسفار الفيدا (الأسفار المقدسة للبراهمانين)** ، ويستأثرون بالسلطة والنفوذ والجاه . |
| **الكشاترين** | **المحاربين أو الجنود** | اعتماد طبقة البراهما عليهم في المدافعة عنهم والمحافظة على هيبتهم الاجتماعية ، مهمة المحافظة على النظام داخلياً ومحاربة الأعداء خارجياً. |
| **الفيسائيين** | **التجار والصناع** | مزاولة الزراعة وصيد الحيوان ودجنة والقيام بالتجارة والصناعة |
| **السودريين** | **العبيد والأرقاء** | ليس لهم وظيفة اجتماعيه إلا خدمة الطبقات السابقة لاسيما الطبقة الأولى |

وقد حرمت الطبقة الثالثة والرابعة الفيسائيين والسودريين من الوصول إلى كرسي الحكم فضلاً عن مزاولة أي حق سياسي أو مدني فلا يحق لهم مطلقاً الاشتراك في انظمه الحكم والسياسة والدفاع ووضع التشريعات فهم معزولون عن الحياة السياسية ولو حاولوا الوصول لطبقة البراهما أو الكشتاريه فإنهم يجازون بأنواع

العذاب الغليظ كصب الحديد في أذانهم وقطع ألسنتهم وتقطيع أجزاء من أجسادهم ، **أهم ما يميز البناء الطبقي الهندي هو ارتكازه على النظام الطائفي المغلق.**

**ماذا نفهم من هذه الطبقية ؟**

هذه الطبقية مغلقة فمن المستحيـــــل أن يكون الفيسيائي كشتاري أو الكشتاري براهمي .. والكل يبقى على طبقته فلا مجال للتطور .

**عندمـــــا نتحدث عن الطبقـــــات نقصد بها العرق وليس باعتبار اللون أسود أو أبيض .**

**تقسيم الطبقات على الجســـــــــم الإنساني:-**

ويقوم هذا التفاضل فى الكتب المقدسة للبراهمانيين الهنود على أساس عناصرهم ونشأتهم الأولى، فتذكر أن ( براهما ) قد خلق البراهمانيين من **فمه**، وخلق فصيلة الكشاتريين من **ذراعه** ، وخلق فصيلة الفيسائيين من **فخذه** ، وخلق فصيلة السودريين أو المنبوذين من **قدمه**. ولما كانت أشرف الأعضاء وأطهرها — من وجهة نظرهم — هى ما علا السرة ، وأحطها هو ما كان أسفل السرة ، وأحطها جميعاً هو القدم . فإنهم يرون أن أشرف الناس جميعاً بحسب العنصر والنشأة الأولى هم الذين إنحدروا من فم براهما وهم البراهمانيون ، ويليهم فى الفضل الذين إنحدروا من ذراعه وهم الكشاتريون ، وكانت الرذائل الإنسانية التى إنحدرت من فخذه وقدمه ، وهم الفيسيائيون — وأكثرهم رجساً ونجساً — هم المنبوذون الذين إنحدروا من قدم براهما وهم السودريين وهؤلاء لا يصح لمسهم ولا مؤاكلتهم ولا مصاهرتهم ولا الإرتباط بهم بأية علاقة غير علاقة السيد بالمسود(١) ومن ثم فإن النظام الطبقى فى الهند ، كان أداة تعوق التطور الاجتماعى ووسيلة جمود فى المجال الحضارى.

## المحاضرة الثانية

## تابع التفكير الاجتماعي في الهند

**الديانة البوذية:** وُلد إلى حد ما ردة فعل تجاه هذا المجتمع وهذا التقسيم الطبقي الغير عادل وبالتالي تفرعت من ذلك الديانة البوذية أو الفلسفة و الآراء البوذية فكانت تحاول أن تدعو إلى **الحرية ، والإخاء ، والمساواة** وتعتقد إن الصفة القدسية التي تحدثت عنها **مانو** ليست صفة وراثية يتوارثها شخص عن أخر وحاولت التخفيف من حدة الفروق الطبقية ، على الرغم من ذلك لم تنجح في تقرير حقوق وواجبات المواطنين بصفة حاسمة ، و لم تترك أثراً عملياً في المجتمع الهندي القديم ، حيث اشتركت مع البراهما في صبغ كل الأفكار بالنزعات الصوفية ونظرتا إلى الحياة باعتبارها شراً لا مناص من البحث عن التخلص منه ، ومعنى ذلك أن البوذية لها طابع أخلاقي سلوكي .

**الخلاصة :** أن الديانات والفلسفات الهندية القديمة بما فيها البوذية لم يكن هدفها تكوين المواطن الصالح بل **كان الهدف الأساسي** الحصول على **زهاد ورهبان وتنشئة أجيال من المتعبدين والنساك.**

## التفكير الاجتماعي في الصيـــــن ومصدر التشريع لديهم

من أهم ملامح الفلسفة الصينية الحديثة أنها لم تقم على أساس ديني كما هو في مصر والهند وإنما على أسس عملية إنسانية تخاطب أفراد المجتمع وترمي إلى خلق أجيال من المواطنين الأحرار ، ثم زادت عنايتها بكل ما هو متصل بنواحي الحياة الاجتماعية ، ويعتبر التفكير الإنساني أو عقل الإنسان هو مصدر التشريع لديهم ، كما أنها لم تكن قدسية ، بمعنى أي أنها لم تكن تعاليم سماويه وصلت إليهم عن طريق الوحي ، **بل كانت نتاج عقول أشخاص معروفين** منتقلة من جيل إلى جيل ، وأهم شخصيتين في الفلسفة الصينية هما **منسيوس** و **كونفوشيوس** زعيم فلاسفة الصين القدامى و هو يعتبر **معلم الجنس البشري** لدى الصينيين وهم يعتبرونه أفضل من أنجبته البشرية وهذا لا يستقيم مع ديننا بل كانت وجهه نظرهم . فأفضل البشر على الإطلاق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

**الفلسفة الكونفوشيوسية :** وتسمى دراسات كونفوشيوس وقد سادت فلسفته كل أرجاء الصين واستمرت من القرن السادس قبل الميلاد حتى أوائل القرن العشرين هذه الفلسفة تستمد مادتها من الأخلاق وهدفها الأساسي هو إصلاح الأخلاق الاجتماعية عن طريق الارتقاء بالأسرة عندما تسود الألفة والمودة بين الزوجين ويكون هناك محبة وود بين الأبناء تتكون هناك الأخلاق الحسنه التي من خلالها تنعكس على المجتمع .وكان ينادي بتقويم الأفراد لعقولهم ولنفوسهم مع التزود بالمعارف الإنسانية وكان يسعى إلى وصول المجتمع الصيني على نظام اجتماعي سليم يكون أساساً لنظام سياسي **يكفل الحرية والمساواة ويحقق العدالة** ولا يتأتى ذلك إلا بتنظيم شئون الأسرة عن طريق التطهير والإخلاص والتضامن وطاعة الأبناء لآبائهم والزوجات للأزواج لأن الأسرة اللبنة الأساسية لبناء المجتمع فصلاحها ينعكس على المجتمع والعكس صحيح.

**التنشئة الاجتماعية عند الصينيين** : وقد أولى الصينيون التنشئة الاجتماعية الخُلقية لأفراد الأسرة كانت من أهم مميزات التفكير الاجتماعي الصيني في كل العصور القديمة ، بل إن دستور (( **جو** )) وهو من أقدم الآثار القانونية والتشريعية الصينية أشار إلى تخصص وزير مسئول لشئون الأسرة. كما يختص هذا الوزير برفاهية أفراد الشعب وإسعادهم.

**القواعد الأخلاقية عند كونفوشيوس :**

على أن القواعد الأخلاقية عند **كونفوشيوس وسط بين الإفراط والتفريط** ، على إعتبار أن الطبيعة الإنسانية تقوم على عنصرين « الذات الإنسانية الحقة أو الذات المركزية أو الموجود الأخلاقى ، ثم الانفعالات التى تستيقظ فى النفس الإنسانية » ولعل هذا القول يتشابه مع قول أرسطو عن الفضيلة بأنها « **وسط بين رذيلتين** » !.

**مؤلفات كونفوشيوس:**

**كتاب الأغاني**

**كتاب التاريخ**

**كتاب المتغيرات** : وهو يتحدث عن التنبؤات التي بما تكون عليه المستقبل من خلال السلوك أو الأسرة بما تكون عليه هذه الدولة أو المجتمع أو الفرد

**كتاب الربيع والخريف**

**كتاب الطقوس والتقاليد**

**منسيوس** : هو من تلاميذ كونفوشيوس (الذي تتلمذ على يد **تسيسز** هو من أحفاد كونفوشيوس) وله عدة مؤلفات منها : **عمليه المنتخبات** وكان يطلق عليه **أنجيل الكونفوشيوسيه** وله بعض الآراء مثل **توجيهه أقسى عبارات اللوم على الحكام عند حدوث نوع من الظلم** ، وكان يعتبر الأفراد بمثابة أفضل العناصر الاجتماعية ، وكان له دعوة أصبحت محل تقدير الشعب وهي **لكي تيسر الحياة الاجتماعية للأفراد لابد من أمرين :**

١ - دستور تنظيم الملكية داخل المجتمع .

٢ - إصلاح قوانين الضرائب.

**ومما يؤخذ على منسيوس أنه قام بتقسيم مجتمع الصين إلى طبقتين مع المساواة بينهما :**

**الطبقة الأولى:** هي طبقة المثقفين والعلماء (وهي التي من حقها أن تسود وتحكم). **الطبقة الثانية:** هي طبقة الكادحين والعمال ( من زراع وتجار وصناع ومن واجبها أن تعمل وتنتج ) مع ضرورة التضامن بين الطبقتين.

هنا نلاحظ أمر في التفكير الاجتماعي في مصر والهند و الصين أن الجميع يسعى لتحقيق ما يسمى بالعدالة التي كانت مطلب الكثير من الفلاسفة وأن الدافع لها كان ما ينبغي أن يكون وليس البحث فيما هو قائم.

## التفكير الاجتماعي في الـــــــيـــــونان

حينما نتحدث عن أفلاطون الذي عاش في الفترة ( 247 _ 428 ق . م ) كان لديه ثلاثة من أهم المؤلفات وهي : **الجمهورية ، السياسي ، والقوانين** وكان كتاب الجمهورية أكثر عمقاً وأغزر علماً وكان الهدف من تأليفه إنشاء مدينة فاضلة خالية من كل الموبقات التي كانت سائدة في ذلك الحين وهو يحتوي على أكثر الآراء والأفكار التي تحدث عنها وكتب لها عشرة فصـــول وحدد منها سبعة فـــصول من أجل العدالة لأنه كان يسعى إلى العدالة مثله مثل أرسطو لكن الأمر الذي يجب أن ندرك ابتداءً أن كل هذه الآراء لأفلاطون لم تكن قائمة في المجتمع وكانت ضمن ما يسمى **باليوتوبيا الفكر الخيالي المثالي**، ونلاحظ أن أفلاطون نفسه عندما تحدث عن فلسفته في التنشئة الاجتماعية عدل عن بعض الآراء فيما بعد لأنها ضد الفطرة الإنسانية ونجد أنه كان ضد ما كان قائم من ديمقراطيه ومن تصويت داخل المجتمع اليوناني ولكنها تضل آراء ليس بالضرورة أن نتبعها ولكن نحن نشير إليها.

### أسس المدينة الفاضلة وضرورات قيام الدولة:

١ - وجود ارض للدولة لها حدود جغرافيه شمالا و جنوبا وشرقا وغربا.

٢ - يجب أن يكون هناك موارد ماليه وليست بشريه فقط.

٣ - نظام سياسي واقتصادي واجتماعي وأخلاقي.

٤ - وجود سياسة موحده .

٥ - هدف عام مشترك .

### ما هو الهدف العام المشترك ؟

هي العدالة فالإنسان لا يستطيع أن يعيش لوحده في المجتمع ويعتمد دائما على الآخرين والحاجة الإنسانية هي أساس تلك الوحدة الاجتماعية أو بالأحرى هي أساس ذلك النظام الاجتماعي الذي يتجسد في المجتمع.

## وظائف الدولة عند أفلاطون :

| وظيفة الدولة | ما يقابلها في النفس البشرية | مركزها | طبقتها | فضيلتها | معدنها |
|---|---|---|---|---|---|
| **الإنتاج** | القوه الشهوانية | البطن | العمال والطبقة الكادحة | التعفف والاعتدال | الحديد والمعادن الغير ثمينة |
| **الدفاع** | القوه النفسية | القلب | المحاربين ورجال الأمن | الشجاعة وتطبيق القوانين السياسية وتحقيق العدالة | الفضة |
| **الإدارة** | القوه الناطقة أو العاقلة | الرأس أو العقل | الحكام وأصحاب الرأي | عملية الحكم والحزم في اتخاذ القرارات وتنفيذها | الذهب |

ويؤكد أفلاطون أنه لا يوجد تداخل فيما بين هذه الوظائف ولا يـــأتي الظلم إلا عندما تعتدي أي طبقه على الأخرى ، وتحقيق العدالة عندما يؤدي كل فرد عمله الذي هيئة الله له وعندما تقوم كل طبقه بدورها المناط بها ولا تتعدى على عمل الطبقة الأخرى.

**المثل العليا عند أفلاطون:** كان يعتقد أفلاطون أن النفس قبل أن تلتصق بالإنسان كان لديها الكثير من الأخلاقيات والمثل العليا ولكن بالتصاقها بالأبدان نسيت هذه الأخلاقيات ، أما لدى الفلاسفة – **لأنه يعتبرهم أفلاطون فئة خاصة تتمتع عن غيرها من الناس بحاسة إدراك الحقائق العامة والمقولات المحضة –** إلى حد ما فهي موجودة فعندما ينطق الفيلسوف أو الحاكم بهذه الآراء أو الأفكار فهي لا تأتيه من خلال الاستنباط أو من خلال المشورة والملاحظة ولكنه يسترجعها لأنها ابتداء كانت لديه وهي تعتمد إلى حد بعيد على عملية الإلهـــام وتفيض عليه عفوياً من غير جهد وعناء. **إذا المثل العليا لدى الفيلسوف هي عملية تذكر للمعارف التي مر بها في هذا العالم المادي ولا تحدث لديهم هذه الإثارة والاستعادة عن طريق الملاحظة والاستنباط وإنما تحدث عن طريق الإلهام والإشراق.**

ولا ريب أن أفلاطون بهذه النظرية قد أوضح إتجاهاً مثالياً أكد إنصرافه عن واقع مجتمعه الذى أعلن فيه مبادىء تقدمية فى السياسة والحكم . فقد أخذت الديمقراطية فى عصره بمبدأ إختيار الحكام والقضاة بالانتخاب وبالإقتراع إمعانا منها فى المساواة بين جميع أفراد الشعب ، سواء أكانوا أغنياء أم فقراء . وأخذت أيضاً بمبدأ التصويت العام فى الأمور العامة ، فاحترمت رأى الأغلبية العددية فى كل الأمور . ومعنى ذلك أن أفلاطون كان موقفه عكس ذلك ، حيث إعتبر رأى الأكثرية وتدخلها فى السياسة والحكم مصدراً من مصادر الفوضى ، ذلك أن العدالة عنده تقضى بأن يخصص للحكم طبقة ارستقراطية لها بالطبيعة مواهب الحكمة والشجاعة التى لا تتوافر عند باقى أفراد طبقات الشعب . وهى الصفوة من طبقة الحراس . أما الديمقراطية « التى بلغت ذروتها فى الانتخاب بالقرعة » على إعتبار أن جميع الناس متساوون ، فقد إعتبرها مرضا أساسياً .

وأكد أن هذه الطبقات وإن كانت من طبائع مختلفة ومعادن متباينة ، فأنها ليست منفصلة اجتماعياً ،ولكنهامرتبة ومتماسكةومتكاملة اجتماعياً ،وهى فى مجموعها تشكل وحدة اجتماعية دعامتها الفرد ، الذى تفرض عليه الحياة الاجتماعية أن يقوم بالوظيفة التى يحددها جهاز الدولة .

نخلص من هذا إلى أن المدينة ( الدولة ) الفاضلة كما يراها أفلاطون تشكل وحدة اجتماعية عناصرها الأفراد الأحرار المتساوون ، ولكل منهم وظيفته الاجتماعية التى يمارسها طبقا للتشريعات العادلة التى تضعها طبقة الحكام ، فإن هؤلاء كما تربطهم أواصر الأخوة ، نجد أن وظائفهم تتكامل بحيث تنجز مهام وظائف الطبقات الاجتماعية الثلاث . يضاف إلى ذلك أن طبقة الحكام طبعت على حب العلم والفلسفة ، ومن ثم لا يصدر عنها إلا كل ماهو عادل وفاضل . وعلى أهل تلك المدينةالفاضلة أن يمارسوا حياتهم الاجتماعية فى شكل أسرة واحدة دعامتها العدالة ورائدها تحقيق الرفاهية والتحلى بالصفات الفاضلة ، والبعد عن طلب الملاذ أو متع الحياة أو الإسراف فى طلب المال . ولا يتخذون من الحرب ذريعة لتحقيق أطماع غير مشروعة .

وكأن أفلاطون بهذا التقسيم يسوق الناس إلى طبقيه معينه ويعتقد أن الوصول إلى الإنتاج والإدارة والدفاع تأتي من خلال التنشئة الاجتماعية.

## أسئلة ذكرها الدكتور للمراجعة

س / بماذا تختص الطبقة ضمن المجتمع الهندي وهي طبقة البراهمة ؟ هم رجال الدين وبالتالي الحكم .

س / ما هي أسفار الفيدا ؟ هي الكتب المقدسة عند الهنود والبراهمة .

س / ما هي الأفكار الأساسية للديانة البراهمية ؟ 1 - جمود الوضع الطبقي 2 - عدم تغير هذا الوضع الطبقي .

س / هل كان هدف الديانة الهندية خلق المواطن الصالح ؟ لا لم يكن هدفها خلق المواطن الصالح بل الحصول على الزهاد والرهبان و المتعبدين.

س / ماهو دستور جو ؟ هو وضع وزير لتنظيم الأسرة في المجتمع الصيني .

## المحاضرة الثالثة

## تابع التفكير الاجتماعي في الـــــــيـــــونان

**التنشئة الاجتماعية عند أفلاطون:-** يعتقد أفلاطون من خلال التنشئة الاجتماعية ومراحلها أننا نستطيع أن نوجد هذه الطبقات الثلاث (الإنتاج ، الدفاع ، الإدارة) ، حيث أن المجتمعات في عهده كانت مضطربة وبعيد وغير متماسكة أو منظمه ويرجع ذلك إلى القصور في تكوين العناصر الضرورية لقيام الوحدة الاجتماعية ، وقد وجده في التربية الاجتماعية للصغار .

ولهذا يرى ضرورة إشراف الدولة على شئون التربية لجميع المواطنين ، بمعنى أن تتسلم الدولة الأطفال من أمهاتهم عقب ولادتهم ، وتعهد بهم إلى مربيات عموميات ، أى موظفات فى الدولة للقيام بحضانة ورعاية هؤلاء الأطفال . ومن ثم ينشأ الأطفال فى دور الحضانة العامة هذه ، لا يعرفون أباءهم ولا أمهاتهم . وعندما ينتهون – فى سن السابعة – من الحضانة يفصل الأطفال الذين يدل إختبارهم على أنهم لا يصلحون لغير الأعمال الجسمانية ، أى الأعمال التى تدخل فى نطاق الصناعة والزراعة وما يتصل بهما . وهؤلاء يكتفى فى تربية كل منهم بأن يؤخذ بشئون المهنة أو الحرفة التى سيزاولها فى مستقبل حياته .

هذا ومن أهداف التنشئة الاجتماعية لدى أفلاطون ضرورة التميز بين الأحداث الذكور والإناث وإختيار الذين يتميزون بالتكامل الجسمانى والقوة البدنية والذين يتوافر لديهم الاستعداد للقتال وتزويدهم بالتربية البدنية والرياضية لزيادة قواهم الطبيعية والمحافظة عليها . يضاف إلى ذلك ضرورة تزويد هؤلاء بقدر من الآداب والفنون وغرس حب الفضائل وقواعد الدين التى تقوم على الإيمان بوجود الله والتسليم بعدالته عن طريق النصح والإرشاد، على إعتبار أن كل تربية لا تقوم على أساس دينى تربية ناقصة .

**من يتميز من هؤلاء :**

تستمر هذه التربية مع البنين والبنات إلى سن الثامنة عشرة ثم يوجهون إلى مزاولة التدريب العسكري طول عامين كاملين ومن يتميز من هؤلاء يخضعون لدراسة لمدة عشر سنوات من سن عشرين إلى سن ثلاثين لدراسة أربع مواد هي : **الحساب (الرياضيات) ، الهندسة ، الفلك ، الموسيقى** . من يتميز من هؤلاء يدرس لمدة خمس سنوات من سن الثلاثين إلى سن الخامسة والثلاثين : الفلسفة والمنطق. **الفلسفة هنا تعني حب الحكمة والمنطق يعني ترتيب الأفكار . ونأتي بعد ذلك لما يسمى بالصفصفة وهي الجدل العقيم .**

وعندئذ يتم اختيار أصحاب الإستعداد الفلسفى من الذكور والأناث ليعكفوا طوال خمس سنوات على دراسة الفلسفة والمنطق وإجادة البحث عن حقائق الأشياء وفى نهاية ذلك تكون أعمارهم قد وصلت إلى الخامسة والثلاثين. وعندئذ تسند ــ إلى الممتازين منهم ــ الوظائف الحربية والإدارية إلى أن تصل أعمارهم إلى الخمسين . وهنا يتم إختيار الممتازين منهم فى الأعمال الإدارية والحربية لترقيتهم إلى مرتبة الحكام وإسناد الوظائف الرئيسية إليهم لوصولهم بمقاليد الحكم إلى مرتبة الفلسفة الخالصة ، على حين أن طبقة الجند تشكل ممن يتخلفون أثناء تلك المراحل التربوية .

والحكام فى الدولة الأفلاطونية ــ وهم يقسمون إلى ( **حكام بالمعنى الحقيقى** ) وإلى ( **مساعدين** ) وهم الجنود ــ يشغلون مركزاً جليلا . ولابد لهم ــ من أجل القيام بوظائفهم على أكمل وجه ــ من مزيج من المزايا والصفات ، إذ من الضرورى أن يجمع الحاكم فى نفسه الفلسفة ، والشجاعة ، والسرعة ، والقوة ، فيكون شجاعاً بالنسبة للأجانب.. ولطيفاً بالنسبة للرعية ، ويجب أن يتعلم ويتربى للوصول إلى هذه الأهداف على أسس المنهاج التربوى السالف الذكر .

**نستنتج مما سبق:**

١ – أن طبقة الإنتاج بداية لا يخضعون لهذه المراحل ، لماذا ؟ لأنه حينما يولد هؤلاء الأشخاص ويكون لديه عاهات أساساً يوجه تلقائياً **للإنتاج** ولا يستطيع إطلاقاً تجاوز **مرحلة ما بعد العشرين سنه** وليس في هذا عدالة ، بعد ذلك يؤخذ من كانت أجسامهم قوية وبنيتهم سليمة إلى **مرحلة ما بعد العشرين سنه** وذكرنا أن هذه المراحل دون تفريق بين ذكور وإناث.

٢ – أن من يتفوق يذهب للمرحلة الأخرى فمن يكون جسمه غير قادر على المواصلة يوجه للإنتاج ومن يستطيع أن يواصل يصل إلى مرحلة الإدارة ومن يتخلف يحول إلى مرحلة الدفاع أو الجند.

٣ – **من خلال هذا التنشئة** نجد انه حطم الأسرة وأشاع الملكية دون أن يكون هناك ملكية فردية بمعنى :أن الشخص تمر عليه مراحل حياته ليس لديه أسرة أو زوجه وأبناء والابن كذلك يكبر ليس لديه أسرة و ليس لديه أب أو أم .

٤ – **لماذا كل هذا الأمر ؟** ذلك من أجل أن نصل إلى العدالة التي تحدث عنها أفلاطون في كتبه الجمهورية والسياسة والقوانين.

**الحل من وجه نظر أفلاطون في عدم تسرب الفساد إلى الحكام الفلاسفة :**

إن الحل لتلك المشكلة وجده أفلاطون فى شيوع الملكية . ولكى يحول دون تسرب الفساد إلى الحكام . ولكى تتوافر لديهم أعظم الخصائص : الحنان واللطف ـ نحو رفاقهم ونحو الذين يحكمونهم . يجب أن يترفعوا عن زخارف الحياة ، فلا يكونوا كغيرهم من الناس ، يتعثرون فى شئون الدنيا وشجونها . . ويعبر أفلاطون عن ذلك بقوله :

والآن دعنا نبين طراز حياتهم وسكنهم إذا أريد أن يكونوا على ما ذكرت من الأوصاف : فيجب أن لا يتملك أحدهم عقارا خاصاً ما دام ذلك فى الإمكان ، وأن لا يكون لأحدهم مخزن أو مسكن يحظر دخوله على الراغبين ، ويجب أن يكون طعامهم أقل مما يتطلبه الجنود الشجعان المدربون. الذين يتحلون بفضيلتى الشجاعة والعفاف ، ويجب أن يوافقوا على أن يتقاضوا من الرعية أجرة سنوية معينة لقاء خدمتهم ، تكفيهم دون أن يفيض منها شيء أو تقصر دون سد حاجاتهم ، ويجب أن يعيشوا كالجنود فى الثكنات على الموائد المشتركة ويجب **أن يعلنوا أن الآلهة إكتنزت فى نفوسهم ذهباً وفضة سماويين ولذلك فلا حاجة فيهم إلى الركاز الترابى ، وعار عليهم أن يدنسوا بضاعة الآلهة الأبدية بالذهب الفانى** . ذلك لأن هذا المعدن الأرضى كان مصدرا لكثير من الشرور ، بينما الذهب السماوى ظل بعيدا عن الفساد.

وهم وحدهم من بين كل رجال المدينة ، مستثنون من مس الفضة والذهب فلا يدخلونهما تحت سقفهم ولا يحملونها ، ولا يشربون بكئوس صنعت منهما . وبذلك يصونون أنفسهم ودولتهم . ولكنهم إذا إمتلكوا أراضى وبيوتا ومالا ، ملكاً خاصاً ، صاروا مالكين وزراعا عوض كونهم حكاما. فيصيرون سادة مكروهين ، لا حلفاء محبوبين ، ويصبحون مبغضين ومبغضين ، يكاد لهم ويكيدون ، فيقضون الجانب الأكبر من حياتهم فى هذا العراك ، وخوفهم العدو الداخلى أكثر جدا من خوفهم العدو الخارجى ، وفى حال كهذه يرمون بأنفسهم ويسيرون بالدولة إلى الدمار »(١) .

**السؤال هل كانت هذه المدينة موجودة ؟**

نستنتج أنه يعتقد أن التربية والتعليم هي من الأسباب الرئيسية في إيجاد الحاكم الصالح وأن هذه المدينة الفاضلة كانت من وجهة نظر أفلاطون فقط وهي من اليوتوبيا أي الفكر الخيالي المثالي وتجد أنها أمور خارجة عن الطبيعية ، **وهو في الحقيقة في نهاية المطاف عدل عن هذه الأفكار والآراء.**

## نظرية أرسطو :

أرسطو عاش من الفترة (222 –384 قبل الميلاد ) وكان مثل أستاذه أفلاطون فيما يتعلق ببعض الأمور ولكنه كان أكثر عقلانيه من أفلاطون ولهذا كانت آراءه إلى حد ما منسجمة مع الواقع وخاصة حينما يتحدث عن الأسرة وعن الرق داخل المجتمع على الرغم من وجود بعض الانحرافات فيها ولديه ثلاث نظريات : **نظرية نشـــأه المجتمع ، نظرية الرق، نظرية قيام مجتمع فاضل** وكما ذكرنا كان أقل اندفاعاً وتهوراً منه وكان أكثر تلمس للحياة الواقعية وهو فيما يتعلق بقيام الأسرة يعتبرها اللبنة الأولى في تكوين المجتمع ، أثرت هذه الآراء في الكثير مثل الاسكندر المقدوني . ولكن هذه الآراء عند وفاة أرسطو ذهبت لأنه لم يكن هناك من يسير على منوالها لأنه لا يوجد من يؤيدها أو يدعمها . ولقد جاءت نظرياته الاجتماعية في **كتابه الرئيس (السياسيه)** ومن أهمها:

١ – نظرية نشأة المجتمع .

٢ – نظرية الرق.

٣ – نظرية قيام الثورات.

٤ – نظرية قيام مجتمع فاضل على غرار مدينة أفلاطون.

## نظرية نشأة المجتمع :

من أول الموضوعات التي تناولها بالدراسة ، موضوع تكوين الجماعات السياسية ، أي الجماعات الاجتماعية . وقرر أن الأسرة هي أول وحدة

اجتماعية ، باعتبارها أول اجتماع تدعو إليه الطبيعة البشرية . بمعنى أن هناك حاجة أولية تتطلب اجتماع كائنين لا غنى لأحدهما عن الآخر وهما الرجل والمرأة [redacted]

[redacted] . ذلك أن الأسرة هى الوسط الصحيح الذى تتحقق فيه الحياة الاجتماعية ووظيفتها إشباع الحاجات اليومية . هذه الأسرة مع الأسر المجاورة تشكل القرية ، كما أن القرية من جهة أخرى مستعمرة طبيعية للأسرة ، وهذه المستعمرة أوسع نطاقا من الأسرة ، ويسمح تكوينها بتقسيم العمل . ومن هذه القرية والقرى المجاورة تتكون الدولة ( أو المدينة ) وهى أكمل الوحدات الاجتماعية وتتوافر فيها فرصة الإكتفاء الذاتى . وعلى هذا فإن الدولة من خلق الطبيعية وإنتاجها ، ووظيفتها تحقيق سعادة الأفراد ، تلك السعادة التى لا تتحقق بدون الدولة .

كان يعتقد أن الرق ركن أساسي في الأسرة إضافة إلى الأم والأب والأبناء ، وكان يعتقد أن الإنسان من الصعب أن يعيش بمفرده ولابد له من حياة اجتماعيه مع الآخرين.

ويركز أرسطو على الفرد باعتباره حيواناً سياسياً ومدنياً بطبعه . إذ أن الإنسان بطبيعته « حيوان سياسى » أى مدنى ، ومعنى هذه العبارة التى شاعت عن أرسطو أنه لا يمكن فصل الإنسان عن الحياة الاجتماعية ، ولا يتيسر فهمه معزولا عنها . وباعتباره أيضاً أكثر قابلية للحياة الاجتماعية من الحيوانات الأخرى ، [redacted]

وهنا يعتقد أرسطو أن الشر لا يتواجد إلا من خلال الحياة الاجتماعية بين أفراد المجتمع فقد يكون هناك صراع أو منافسة أو عدم توافق اجتماعي او حسد أوظلم او حروب فهنا يتبلور أو يتكون الشر من خلال هذه المعطيات الاجتماعيه.

[redacted]، كما أنه يحتاج إلى قوانين لتنظيم علاقات الأفراد ببعضهم البعض ، فالقانون هو قاعدة الاجتماع السياسى ، كما أن العدالة من الضرورات الاجتماعية والأحكام العادلة هى التى تشكل القوانين(٣) .

**علم الثروات عند أرسطو:** أن الإنسان داخل هذه الأسرة يستطيع أن يشبع حاجته الخاصة وحاجات الآخرين من التملك الفردي للمال والعقار وغيره وهذا يختلف اختلاف جذري عما قاله أفلاطون من إشاعة الملكية وكان أرسطو يحاول الوصول إلى **العدالة والتي تعني الفضيلة : مطابقة القانون وقد تعني التساهل في بعض الأحيان .**

**وهناك نوعين من العدالة عند أرسطو:**

١ – العدالة التوزيعية : يقصد بها توزيع الأموال والمراتب على الجميع سواسية داخل المجتمع.

٢ – العدالة التعويضية : تهدف إلى تنظيم معاملة الأفراد داخل المجتمع وعدم الوقوع في الظلم عليهم من قبل رجال الجيش أو الحكام وذلك بما يضمن الأنصاف للجميع .

هذا ومن خلال دراساته العميقة لمثل هذه الأمور تعرض لدراسة ظواهر اقتصادية متعددة مثل : الإنتاج ، الإستبدال ، التوزيع ، الاستهلاك ومعايير تقويم الأشياء ، نظم النقد وأشكاله ووظيفته وما إلى ذلك مما يعتبر من صميم علم الاجتماع الإقتصادى ، حتى أنه يمكن القول دون ما تجاوز إن أرسطو وليس الفزيوقراط أو آدم سميث هو صاحب الفضل فى إنشاء علم الاقتصاد السياسى ، وهو أيضاً – أول من قرر خطورة هذا العلم والظواهر التى يتناولها بالدراسة .

## المحاضرة الرابعة

## تابع التفكير الاجتماعي في الـــــــيـــــونان

**نظرية أرسطو في الرق** : أرسطو كان يعتقد أن الأسرة في اليونان تتكون من الرجل والمرأة والأبناء والرق فالبيت يقوم على أربعة أركان ( **الزوج ، الزوجة ، الأبناء ، الأرقاء** ) فالرق ركن ثابت فيها عنده ، وتكون الأسرة برئاسة الزوج باعتباره أقوى جسماً وأرجح عقلاً ، كما أن الله لم يهيئ المرأة لتكون كالرجل فيما يتعلق بالجيش و فن الإدارة أو الحكم والقضاء فضلاً عن أن تشاركه بالجندية والحكم وتحدث عن وظيفة المرأة فقط هو قيامها بتربية الأبناء ورعاية الأسرة وبالنواحي المترلية فقط تحت إشراف وتوجيه وسيادة الرجل، وكذلك للزوجة في الأسرة إبداء الرأي وللرجل حق البت والحكم بعد تقليب النظر ، بمعنى أن الأسرة مملكة صغيره يستوي على عرشها الرجل ، وهو بذلك هنا يمجد الأسرة ويرى فيها مجتمعاً بسيطاً يتم فيه تعليم الفضائل المبدئية واكتسابها .

وكان الرق نظاماً إجتماعيـــاً له وظيفة اجتماعية هى تحصيل الأقوات الضرورية لقوام الأسرة والقيام بالصعب من الأعمال ، لأن الله خلقه كذلك جسماً بدون عقل ، بينما الأحرار خلقهم الله وزودهم بالجسم والعقل . وما دام الرق كذلك فهو أشبه بالحيوان ، وعلى ذلك فإنه لا ضير من شن الحروب للحصول على الرق ( الحيوانات الأربعة ) تماما مثل صيد الحيوانات المتوحشة وقسم أرسطو المجتمع إلى أحرار ( وهم اليونانيون ) والأرقاء ( وهم من كانوا من غير اليونانيين ) أى من البربر ، هؤلاء البربر الذين لا يملكون أنفسهم ، ولا يتمتعون بأية حقوق مدنية باعتبارهم من الآلات الصماء التى تخدم كما تخدم الدواب . ولم يكتف أرسطو بالأخذ بذلك ، كما كان الحال فى المجتمع اليونانى ، وإنما بالغ فى زيادة الفروق الفردية بين الأحرار والأرقاء حتى أنه إعتبر الأرقاء أدوات للأسرة أو آلاتها الحية Instrument animés أو أنهم المجتمع المسترق الذى يقوم على أكتافه المجتمع الحر ، مع أن حياة المجتمع الحر مرهونة بأداء المجتمع المسترق لوظيفته . ومما لا شك فيه أن وجهة نظر أرسطو فى الرق تؤخذ عليه .

غير أننا إذا نظرنا إلى آرائه هذه من منظور اجتماعي نجد أنه كفيلسوف اجتماعى كان عليه أن يشاهد النظم الاجتماعية ويدرسها ويحللها ويكشف عن وظائفها الاجتماعية التى تقوم بها . وهذا ما فعله مع مبالغة فى تبرير الرق وتقريظه .

**نظرية أرسطو في المدينة الفاضلة** : فضل أرسطو المدينة باعتبارها من أرقى صور الحياة السياسية ، أما المركبات السياسية المترامية الأطراف مثل الإمبراطورية الفارسية فقد كانت من وجهة نظره **مركبات غير متجانسة يستحيل عليها تحقيق الغاية من الاجتماع الإنساني .**

شروط أرسطو لقيام المدينة الفاضلة :

يرى أرسطو أن الخيرات التي يستطيع الإنسان أن يستمتع بها على ثلاثة أنواع هي : **خيرات خارجية عنه ، وخيرات الجسم ، وخيرات النفس .** والإنسان السعيد من تهيأت له هذه الأنواع الثلاثة . ويلاحظ أن هذه الأنواع الثلاثة ليست متكافئة في قيمتها . فالتجربة تؤكد أن الفضيلة الكبرى إذا إمتزجت بشيء يسير من الخيرات الخارجية ، هيأت سعادة أعلى مما تهيئه وفرة الخيرات الخارجية ، مع جزء يسير من الفضيلة ... ويتساءل أرسطو : أليست الخيرات الخارجية إذا زادت عن حد معين قد تنقلب إلى أضرار ؟ **على حين أن الفضيلة على العكس من ذلك لا إفراط فيها ، أي لا إسراف فيها** . ذلك أن الخيرات الخارجية وخيرات الجسم ، في الحقيقة ، خادمة لخيرات النفس والعكس صحيح .

ويحدد أرسطو مجموعة من الشروط لقيام المدينة الفاضلة من أهمها :

١ — **مساحة المدينة التي ينبغي أن تكون متناسبة مع حاجة المواطنين** ، وبحيث توفر لهم الحياة الميسورة ، دون أن ينقلب ذلك إلى الترف والبذخ .

ولابد من تحصينها بحيث تغدو منيعة المداخل على العدو ، سهلة المخارج على سكانها . ومن الضروري أن يكون لها مرفأ على البحر لأهميته الدفاعية من الناحية الحربية ، ولتلقي المساعدات من الحلفاء ، ولأهميته الإقتصادية في التبادل التجاري وفي الإستيراد والتصدير .

٢ ـ تكوين المدينة المورفولوجي والذى ينبغي أن يكون من تربة خصبة يسهل إستغلالها ، وأن تكون حولها موانع طبيعية لعرقلة حركة المغيرين ، بالإضافة إلى ضرورة وجود مجموعة من القلاع والحصون ، وكذلك شبكة من المواصلات تربط بين أجزائها حتى تتقدم المدينة اجتماعياً وتقوى من الناحية الدفاعية ، ومن ثم يصعب غزوها . ذلك أن أرسطو وإن كان يعارض الملكية المشتركة ، فإنه يقرر وجوب جعل جزء من الأراضى ملكا مشتركا للدولة من أجل نفقات العبادة والتغذية المجانية للربط بين المواطنين والتوحيد بينهم ، أما الملكية الخاصة فلكل مواطن يوناني حصتان من الأراضى : الأولى فى المدينة ، والثانية قريبة من الحدود ، مع مراعاة العدل فى القسمة حتى يكون للمواطن مصلحة فى الدفاع عن المدينة كلها ، كما سبق أن أوضحنا ذلك .

٣ – **عدد سكان المدينة الأمثل الذي يراه أرسطو هو مائة ألف نسمة** : لأن ذلك يساعد على رخاء المدينة وتقدمها الفكري وميسراً للحكم الصالح وانتشار النظام ، وتوزيع المناصب عليهم حسب الكفاية.

غير أن أرسطو يتخلى عن صفته **الاجتماعية** ويتحدث عن مجموعة من الإجراءات التعسفية التى يراها ضرورية لإستبقاء عدد المواطنين فى المدينة فى المستوى المناسب ، وهذه الإجراءات هى :

(ا) الإجهاض .

(ب) إعدام الأطفال ناقصى التكوين والمشوهين وفاسدى الأخلاق ، أو التخلص منهم بإلقائهم إحياء فى القفار والجبال طعاماً للسباع من الوحوش والطيور Exposition .

(ج) تحريم الزواج على الشيوخ والعجزة وعلى كل من يبلغ الخمسين من عمره .

## وظائف الدولة الأساسية وطبقات السكان عند أرسطو:

٤ ــ وللدولة ستة وظائف أساسية ويقابلها ست طبقات من السكان. وهى توفير المواد الغذائية ويهيئها الزراع والمهن الصناعية ويزاولها الصناع والأسلحة لضبط السلطة فى الداخل ودفع العدوان فى الخارج ويتم ذلك بواسطة الجنود، والثروات للحاجات الداخلية أو للحروب وتكون عند الطبقة الغنية . والعبادة ويقوم بها الكهان ، والإشراف على المرافق العامة والقضاء بين الناس وفض المنازعات ، ويقوم بذلك الحكام والقضاة .

ولذلك ينبغى أن يتألف النظام الطبقى فى المدينة على النحو التالى :

(أ) القائمون بإنتاج المواد الغذائية من الزراع ، والقائمون بتوفير السلع الإستهلاكية من الصناع والتجار . وهؤلاء ليس عندهم الوقت الكافى لممارسة الأمور السياسية والإدارية ، ومن ثم يحرمهم أرسطو من صفة «المواطن» ومن حق تملك الأرض أو أدوات الإنتاج ــ وذلك على خلاف أفلاطون ــ على إعتبار أنهم من العبيد والأرقاء المتوحشين .

(ب) رجال الإعلام والفن التشكيلى الذين يقدمون خدمات إعلامية ومستلزمات فنية لا غنى عنها فى الحياة الاجتماعية .

(ج) جيش وطنى يزود عن حياض الوطن ، ويتميز بالشجاعة التى هى ضرورية له . ولما كان الجند . هم أقوى المواطنين وأشجعهم فربما لا يرضون أن يكونوا مجردين من السلطة ، لذلك يلزم أن يصبح الجند أنفسهم فى نضجهم وكهولتهم حكاماً وفى هرمهم قضاة .

(د) طبقة الأثرياء الذين يمدون الدولة بالمال اللازم للميزانية التى تنفق منها على تسليح الجيش وتنفيذ المشروعات .

(هـ) طبقة رجال الدين

(و) طبقة الحكام ورجال القضاء

## الحكومة في المدينة الفاضلة :

وبالنسبة للحكومة فى المدينة الفاضلة ، فقد ذهب إلى أن لها ستة أشكال ، ثلاثة منها صالحة والثلاثة الأخرى فاسدة :

ـ فالحكومة الصالحة هى :

(ا) الحكومة الملكية أو المونارشية Monarchique وهى التى يستقل بالحكم فيها ملك عادل رشيد .

(ب) والحكومة الأرستقراطية أو حكومة الأشراف Aristocratique وهى التى يتولى الحكم فيها جماعة من أماثل القوم وأفاضلهم .

(ج) والحكومة الجمهورية Republic وهى التى يشترك فيها جميع أفراد الشعب عن طريق ممثليهم المختارين إختياراً حراً .

**(والحكومة الجمهورية حكم الشعب بالشعب للشعب) .**

## نظام التربة عند أرسطو : (الضروري للحصول على المواطنين الأحرار) .

كان هناك الكثير من التوصيات الأخلاقية والدراسات في هذا المجال المليئة بالنصائح التي لا تزال حتى يومنا هذا من أهم مقومات التربية العملية . و تحدث بعد ذلك عن **الصداقة التي هي الكوبري الذي يربط بين الحياة السياسية والحياة الاجتماعية** ومفهوم الصداقة عند أرسطو يتميز بالاتساع فهي تفيد عنده **علاقة الإنسان بالآخر أياً كان نوع هذه العلاقة .**

## درجات الصداقة كما يراها أرسطو:

[redacted] أولى هذه الدرجات وأدناها : صداقة اللذة ، كصداقة الصغار ، وهى سريعة الحصول كما هى سريعة الزوال ، ثم صداقة المنفعة وتبادل الفوائد ، كصداقة الشيوخ يدفعهم إليها ضعفهم وحاجتهم إلى من سواهم ، ثم صداقة الفضيلة وهى أرفع الدرجات ، لأن الفضيلة تجعل الصداقة حباً متبادلا قائماً على الاحترام والتشابه ، وهذا معنى الصداقة الحقيقى ، وما عداه صداقة على سبيل المجاز .

بعد ذلك نخلص من استعراض شروط أرسطو في قيام المدينة الفاضلة إلى أنها شروط غير واقعيه على الرغم من ذلك تعتبر دراسة شيقة في بينة المجتمع وتخطيط المدن وتحديد سكان المجتمع إلى غير ذلك من الدراسات التي تعتبر من أهم مقومات الدراسة المورفولوجية والديموجرافية ، ويرجع له الفضل في إنشاء عدد كبير من العلوم من أهمها **علم المنطق الصوري** الذي لا يزال يحمل اسمه في الوقت الحاضر ، وبحوث التاريخ المقارن التي عالجها في **كتابه نظم المدن الإغريقية** ، وأرسطو يبحث في استخلاص العلل والأسباب **بمعنى انه يبحث فيما هو قائم وليس فيما ينبغي أن يكون .**

وبوفاة أرسطو بعد وفاة الاسكندر الأكبر بعام واحد إنحدرت الدراسات الاجتماعية فى اليونان إنحداراً كبيراً ، لاسيما بعد نجزئة الإمبراطورية المقدونية إلى أشلاء ، وبعد نشوب الحروب الداخلية فيها ، فضلا عن إنتشار الفتن فى المدن اليونانية . ولم يعد إهتمام المواطن اليونانى حول إصلاح المدينة ، وإنما حول صلاح حاله فحسب .

المقصود بالاسكندر الأكبر هنا هو ( الاسكندر المقدوني ) الذي ذكره الدكتور في المحاضرة .

## المحاضرة الخامسة

## التفكير الاجتماعي لدى المسيحيين

ما الفرق بين تفكير الفلاسفة المسيحيين ومن سبقهم ؟

إن تلك الفلسفات سواءً عند الفراعنة أو الهنود أو الصينيين أو اليونانيين لم تكن باعتبار دين إلاهي بل دين أرضي أما التفكير الاجتماعي عند الفلاسفة المسحيين كان مبني على دين سماوي هو الدين المسيحي على الرغم من إيماننا بأنه محرف ، فلو أخذنا اليونانيين كمثال لم يكن هناك كتب سماويه بل مجرد مرجعيات لهم كالسياسة والقوانين ونلاحظ في هذه المرجعيات:

**أولاً : كلها كتب أو تعليمات أو دراسات من صنع البشر .**

**ثانياً : ليست صالحة لكل زمان ومكان** فالبعض من الفلاسفة كتب مثل هذه الكتب مثل أفلاطون في كتابة الجمهورية بعد ذلك عدل عن هذه الآراء في حياته .

**كليمان الإسكندري : (الذي يمثل الفلسفة المسيحية في نشأتها الأولى)**

من أول الفلاسفة المسيحيين الذين وصلت إلينا أخبارهم ، ( كليمان الإسكندرى ) وكان زعيما لمدرسة الإسكندرية المسيحية . وهو من الذين ناقشوا دعائم ( الملكية الفردية ) وأوضح أهمية المشاركات الوجدانية . ومن فلاسفة المسيحية الذين عاصروا كليمان الإسكندرى نجد القديس بولس وغيره ممن نادوا بتحرير الأرقاء ، ونصحوا الفقراء بالصبر ، والعبيد بالهدوء والسكينة . وإعتبروا التميز بين الفقراء والأغنياء أشد ظلما من التميز بين الأحرار والأرقاء . ومن هنا كانت دعوتهم إلى المساواة الاجتماعية . ويبدو أن دعوتهم هذه لم تجد إستجابة كبيرة . ومن ثم لجأت بعض الطوائف المسيحة إلى حياة العزلة لفترات طويلة فى ظل نظم أقرب إلى الشيوعية .

**القديس أوغسطين : ( يمثل الفلسفة المسيحية في القرون الوسطى)**

إذا كانت أفكار المسيحيين الأوائل أمثال كليمان الإسكندري وزملاؤه غير واضحة ، فإنها عند أوغسطين ومن جاء بعده أشد وضوحاً ، حيث إستقى أصولها من الفلسفة اليونانية وأضفى عليها الروح المسيحية . هذا ومن الموضوعات الاجتماعية التي كانت ذات أهمية خاصة لديه موضوع الأسس التي تقوم عليها الحياة الاجتماعية . وكان من رأيه أن المجتمع ليس جمعاً من الناس كيفما إتفق ، ولكنه ( جماعة من الأفراد يشتركون في الأفكار والعواطف ويؤلفون وحدة معنوية تقوم على الرضاء والمحبة ، ويهدف إلى غايات مشتركة ) أعلاها وحدة الدين .

**وقد قسم أوغسطين الناس إلى مجموعتين**

| مدينه السماء | مدينه الأرض |
|---|---|
| أودع الله في قلوب أفرادها محبه الله ويهتدون بالقواعد والأحكام الدينية ويتعاملون في ظل القيم والفضائل المستمدة من الدين | أودع الله في قلوب أفرادها محبه الذات ويؤثرون أنفسهم ويحكمون بمقتضى أغراضهم وشهواتهم |

فهنا سيأتي في نهاية الدنيا المسيح فيفصل بين المدينتين فيفتح لأفراد مدينة السماء الجنة ويفتح لأفراد مدينه الأرض الجحيم . **وهنا خلل عقائدي لأن الله هو الذي سوف يفصل بين الخلائق وليس المسيح.** وهو كان يرى أن الحياة الاجتماعية في فجر نشأتها كانت تقوم على مبادئ القانون الطبيعي ـ كما كان يرى ذلك **شيشرون** – وكما جاء في التشريعات الرومانية ، ولكن الأخطاء التي يقع فيها البشر تتطلب **اعتبار قيام القانون الوضعي ضرورة اجتماعيه** ، ومن أسس القانون استمدت السلطة الزمنية دعائمها وبذلك توصلت لمبررات للرق وللملكية الفردية والسياسة التي تعتبر من مستلزمات الدولة.

**ذكر القانون الوضعي هنا خلل لماذا ؟** لأن المجتمع المسيحي ديني وأوغسطين قديس والقانون الوضعي معناه من صنع البشر ، والمسيحية تستمد تعاليمها من السماء ، فهنا تناقض بين ما يدّعون به وما يتم طرحه.

**الملكية عند أوغسطين :**

وكان يعتقد أن الملكية هي من حقوق الذات الإلهية باعتباره الخالق لكل شيء ومن ثم فهو المالك لها وقد منحها الله للملوك والأباطرة والفرد في نهاية المطاف يستمد حقه في الملكية من حقوقهم في التملك ، **ومعنى ذلك أن الملكية حق أنساني ينحدر من أصل قدسي الهي ، خلل عقائدي** اعتقاده أن هناك بينه وبين الله وسيط وهي أمور هو يعتقدها على الرغم من انه قديس ، وهذا لا يستقيم مع ديننا الإسلامي الذي يأمرنا بعدم اتخاذ وسيط بين العبد وربه .

**الرق عند أوغسطين:**

وناقش أوغسطين نظام الرق وأقره — مثل أرسطو — وإعتبره من النظم الطبيعية ، على إعتبار ضرورة وجود طائفتين فى المجتمع إحداهما لها الأمر والنهى ، والأخرى عليها الطاعة والاحترام . كما أشار إلى الوظائف الاجتماعية والاقتصادية التى يقوم بها الأرقاء والتى قد يتوقف المجتمع عن السير بدونها .

وناقش أوغسطين ، أيضاً ، كثيرا من الظواهر الاجتماعية من خلال بحوثه فى السياسة .... فقد ناقش ظاهرة الحرب وأقر مشروعيتها وإعتبرها ضرورة لا غنى عنها فى الحياة الاجتماعية بشرط أن تغلف بالرحمة وتبتعد عن التنكيل والإستعباد ، على إعتبار أن الدول مثل الأفراد ينبغى أن تكون بينها بعض سمات المشاركات الوجدانية ، حتى ولو كانت توجد عداوة بين بعضها البعض .

ولم تفته مناقشة المجتمع العالمى أو ( الجمهورية العالمية ) التى يعيش الناس جميعاً فى ظلها متحابين متعاونين على أسس اجتماعية ، وهي نفس فكرة ( الجامعة الإنسانية ) التى نادت بها جماعة الرواقيين .

## المحاضرة السادسة

## تابع التفكير الاجتماعي للفلاسفة المسيحيين

**القديس توماس الإكويني (سان توماس)** : جاءت أفكار سان توماس في القرن الثالث عشر الميلادي **غير متأثرة بالدين** على العكس من الدراسات الاجتماعية في العصور الوسطى التي اصطبغت بالصبغة الدينية مثل أفكار أوغسطين ، كما احتدم الصراع على السلطة بين البابوية والأباطرة ، ولم يستطع مفكري العصور الوسطى من التخلص من سيطرة رجال الدين والقواعد الدينية .

### الوجود الاجتماعي والحكومة عند سان توماس :

**وناقش سان توماس ( الوجود الاجتماعى ) فى أهم مؤلفاته بعنوان « حكومة الأمراء »** وإعتبره — مثل أرسطو — من الأمور الطبيعية التى تنزع إليها الكائنات الحية ، حيث توجد تجمعات حيوانية وجماعات إنسانية . بيد أن التجمع الحيوانى يرجع إلى الغريزة ، والجماعة الإنسانية تصدر عن الطبيعة العاقلة والإرادة الإنسانية . تلك الإرادة الإنسانية التى تعمل على تنظيم واستمرار الاجتماع الإنسانى الذى ينشأ تلقائياً لا صناعياً ، كما قد يفهم كذلك بعيدا عن الواقع الاجتماعى .

وترتيباً على ذلك فإنه من الضرورى لتنظيم هذا الاجتماع من مجموعة من القوانين التى تحكم علاقات أعضاء هذا الاجتماع الإنسانى ، على إعتبار أن المجتمع من وجهة نظره **« عدد من الأفراد يعيشون منتظمين خاضعين لمجموعة من القوانين العادلة ، ويسعون نحو هدف واحد وغايات مشتركة »**. والمجتمع طبقاً لهذا التعريف يحتاج إلى هيئة تنظيمية هى الحكومة . ومن ثم فإن الحكومة ضرورة اجتماعية . ووظيفتها من وجهة نظره تشبه وظيفة **( النفس )** فى جسم الإنسان ، فكما أن النفس تسهر على سلامة وتنظيم شئون الجسم ، فإن الحكومة أيضاً تحرص على سلامة المجتمع وإستمراره وتقدمه. ذلك أن النفس تتولى شئون الجسم ، والحكومة تتولى شئون الدولة(١) والحكومة صالحة إذا توخت شئون الدولة **( حكومة الأفراد الأحرار )** وهى فاسدة إذا توخت المصالح الخاصة لأعضائها **(حكومة الأفراد الأرقاء)**. ذلك أن الحرية آية عدالة الحكومة ، والعبودية آية فساد الحكومة . كما أن « الحكومة الفاسدة مثلها مثل سلطة الأسياد على عبيدهم وأرقائهم ، على حين أن الحكومة الصالحة تفضل لمواطنيها الأوضاع التي لا تؤدي بهم إلى الموت السياسي والمدني .

**ما الفرق بين الحكومة الصالحة والفاسدة ؟** الحكومة الصالحة ( **الأحرار**) تقدم المصلحة العامة (مصلحة الشعب) ، والحكومة الفاسدة (**الأرقاء**) تقدم المصلحة الشخصية (مصلحة خاصة) على المصلحة العامة .

**الرق عند سان توماس** : هناك تناقض في كلامه حيث تحدث عن ضرورة القضاء على الرق تمشياً مع المبادئ السمحة التي جاءت بها الديانة المسيحية بينما نلاحظ في وقت آخر أنه اعترف بوجود الرق ووظيفته الاجتماعية والاقتصادية وبرر وجهة نظرة بنظريات القدامى التي تدعو الرق وتشيد بفضله في زيادة الإنتاج وفي تحقيق التوازن في المجتمع.

**وظيفة الدولة عند سان توماس:**

ويناقش سان توماس موضوع الدولة ويحدد وظيفتها بأنها . تأمين سلامة المواطنين من الأخطار الداخلية والخارجية ، عن طريق وضع التشريعات القائمة على مبادىء القانون الطبيعى التى تنظم علاقات وسلوكيات الأفراد على أسس من العدالة الاجتماعية ، مثلما كان الوضع فى الإمبراطورية الرومانية ، ومتفقاً مع ما يوحى به العقل ويتفق مع الصالح العام ». وأضاف أن التشريعات تتطلب تحديد أساليب المسئولية والجزاء ، مع ضرورة وجود الأجهزة التنفيذية التى تعمل على تنفيذ أحكام الأجهزة القضائية ، على إعتبار أن التشريعات بدون تلك الأجهزة التى تسهر على تقريرها وتنفيذها تصبح حبرا على ورق .

ولم يعتبر القصاص من المذنبين وسيلة للتنكيل بهم ، وإنما مجرد تقويمهم وإقامة العدالة فى المجتمع ، وعلى رجال القضاء الرجوع إلى ضمائرهم قبل إصدار أحكامهم باعتبارهم أعضاء فى مجتمع . ومن ثم فإن الجزاء فى نظره باعتباره عاملا من عوامل السلام داخل المجتمع ، له وظيفتان إحداهما أخلاقية : وهى تأديب المجرمين وردعهم . والثانية اجتماعية ، وهى إقرار العدل وسيادة الطمأنينة .

**النواحي الاقتصادية عند سان توماس** : ناقش النواحي الاقتصادية ولاسيما ظاهرة الربا التي كانت منتشرة في المجتمعين اليوناني والروماني وزاد انتشارها في العصور الوسطى ، وقال أنه من الضروري تحريم الفائدة الناتجة عن الربا وأنه يجب أن يوضع أثمان عادله للسلع المنتجة ، **والثمن العادل** من وجهة نظره هو الذي لا يلحق غبناً أو إرهاقاً للمستهلك.

**الوظيفة الحربية للدولة عند سان توماس:**

ومن جهة أخرى **ناقش سان توماس الوظيفة الحربية للدولة** ، على إعتبار أن حماية المجتمع والزود عن حياضه لتوفير الأمن والطمأنينة من أهم وظائف الدولة . وإذا كان قد قيد الحروب بضرورة أن تكون مشروعة بإعلانها عن طريق السلطة الشرعية فى البلاد ، وبشرط أن تكون لدفع ظلم أو إسترجاع حقوق مهضومة ، بحيث تكون مقصورة على تحقيق تلك الأهداف ، وليس لغرض الفتح والغزو وحب السيطرة والتوسع — وهى شروط تشبه شروط الحرب الإسلامية — فإنه من جهة أخرى أباح إستخدام الأساليب الميكيافيلية القائمة على الخداع والنفاق والتمويه فى الحرب مع إعتبار الأسرى أرقاء . ومن هنا نراه — وهو من رجال الدين — كان حريصاً على المبادىء الدينية فى إعلان الحرب ، وغير حريص عليها فى ممارستها وما يترتب عليها.

**الملكية عند سان توماس:**

أما عن الملكية فقد أوضح سان توماس أنها جائزة شرعا ، وأنها إصطلاح اجتماعى نافع ويرتبط بالصالح العام . ذلك أن الملكية ليست شرا أو إثما فى ذاتها مهما تضخمت ، ولكن الأثم أو الشر فى الإستئثار بالمنافع وحرمان الفقراء . وأضاف إلى ذلك أن الفقر عندما يصبح عاما ويتعذر على العامة الحصول على القوت ، تصبح الأشياء فى المجتمع عامة ، وملكيتها مشتركة (١) [redacted]

## المحاضرة السابعة

## ابن خلدون وعلم العمران

**ابن خلدون :** هو عبد الرحمن أبو زيد ولي الدين بن خلدون الحضرمي **(فاسمه عبد الرحمن وكنيته أبو زيد ولقبه ولي الدين وشهرته ابن خلدون )** ولد في تونس( 732 هـ - 1332م ) وتوفي بمصر سنة (808 هـ - 1406م) ، اشتغل بالوظائف العامة والسياسية حيث اشتغل كاتباً وأستاذاً وقاضياً للقضاة وحاجباً (رئيساً للوزراء) وتقلب في كثير من الوظائف وفي كثير من دواوين الملوك والأمراء في تونس والمغرب والأندلس ومصر والشام ووصل إلى أن أصبح قاضي القضاة المالكية في مصر ، كتب كتابة **((ديـــوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ))** هذا الكتاب يعتبر مقدمة ابن خلدون ويعتبر كتابه الأول وهو يتحدث فيه عن **علم العمران البشري** لكن تصنيف الكتاب يندرج تحت كتب التاريخ لأنه لم يظهر بعد علم الاجتماع وقد كتب سبعة كتب تاريخية بعد هذا الكتاب ، هو حينما قرأ التاريخ بمثل ما قرأه كثير من الفلاسفة أو العلماء أو الأفراد أو الأشخاص وجد أن هناك كثير من المغالطات والكثير من المبالغة وذلك لعدة اعتبارات دينيه أو مذهبيه أو طائفية أو عرقيه أو خلاف ذلك أو تم نقله عن طريق الخطأ ، وهي تعتبر أخطاء جوهرية في مسيرة الحياة الاجتماعية ولا تتفق مطلقاً مع العقل والمنطق لذلك حاول أن ينقيه **وذلك بوضع قوانين** طبعاً لا نستطيع أن نسميها قوانين اجتماعية لأنها تختلف من مجتمع إلى مجتمع آخر ومن حضارة إلى أخرى ومن ثقافة إلى أخرى ومن زمن إلى آخر ولكنها أصبحت مرجعية .

**ابن خلدون وفكرة علم الاجتمـــــاع :** توصل ابن خلدون قبل أوجست كونت وكتيليه (هو من أطلق على علم الاجتماع الفيزياء الاجتماعية) بخمسمائة عام إلى هذه الفكرة الجوهرية **وهي أنه يوجد قوانين تحكم مسيرة الحياة الاجتماعية** وليس كما يعتقد البعض بان التاريخ تسيره الأهواء .

**البحوث الاجتماعية قبل ابن خلدون** : وجد ابن خلدون أن الذين تنالوا الموضوعات الاجتماعية بالدراسة من قبله يمكن تصنيف بحوث إلى ثلاثة نماذج هي :

١ – **بحوث تاريخية خالصة** : وهي التي اقتصر أصحابها على وصف الظواهر الاجتماعية دون استخلاص النتائج من هذا الظواهر ، قد تكون معارك أو سقوط دول أو قيام أمم أو حضارات دون تحليل ودراسة لأسباب حدوث تلك الظواهر ، ومثال ذلك ما فعله بن حزم في دراساته للملل والنحل ، وكما فعل الفقهاء والمؤرخون في دراستهم لتاريخ التشريع ، وتاريخ القضاء ، وتاريخ التربية وتاريخ الدين .

ومن الواضح أن مثل هذه البحوث لا تدخل فى نطاق علم الاجتماع على إعتبار أن ذلك العلم لا يقف عند حد وصف الظواهر الاجتماعية، كما أن غرضه ليس مجرد هذا الوصف ، بل إنه يرمى إلى تحليلها للكشف عن طبيعتها وعن العلاقات التى تربط بينها وما تخضع له من قوانين علمية . وقد يستخدم الوصف فى الوصول إلى تلك القوانين ولكن هذا الوصف يستخدم ليكون مجرد تمهيد للغرض الأساسى وهو ربط الأسباب بالمسببات ، والمقدمات بالنتائج ، واستخلاص القوانين العامة التى تحدد العلاقات بين تلك الظواهر .

---

**النظرية الدائرية تعني** : أنه في حالة سقوط حضارة أو دولة فإنه في المقابل تقوم حضارة أو دولة أخرى ، ونشير هنا إلى سبب سقوط الدول أو الحضارات هو الظلم وعدم المساواة والعدل بين أفراد المجتمع ، ولا تقوم إلا من خلال العصبية أو الدين .

٢ – **بحوث وعظية وإرشادية** :

وهى تلك البحوث التى تدعو إلى المبادىء التى تقررها نظم المجتمع وما يسوده من معتقدات وتقاليد إرتضاها المجتمع وقبلها العرف الخلقى، وذلك ببيان محاسنها وترغيب الناس فيها ، وتثبيتها فى نفوسهم ، وحثهم على التمسك بها ، وتحذيرهم من تعدى حدودها ، وإيضاح ما ينبغى

أن يتخذوه فى تطبيقها ، وتلك هى الطريقة التى سلكها بعض علماء الدين والخطابة والأخلاق ، وبعض البحاث فى المجالات السياسية والدينية . . . مثل إبن مسكويه فى كتابه « تهذيب الأخلاق » ، والغزالى فى كتابه « إحياء علوم الدين » ، والماوردى فى كتابه « الأحكام السلطانية ، والطرطوشى فى كتابه « سراج الملوك » وما إلى ذلك .

ومن الواضح أن هذه البحوث لا تدخل – أيضاً – فى نطاق علم الاجتماع على إعتبار أن ذلك العلم ، كما هو معروف ، لاشأن له بالوعظ والإرشاد ، ولا بالدعوة ، إلى المبادىء ، وإنما يتناول بالدراسة مشكلات المجتمع ، كما يتناول علم الكيمياء الظواهر الطبيعية ، ليس لمجرد الوقوف على حقيقتها وإنما لتحديد العلاقات التى تربط بينها .

٣ – بحوث فيما ينبغي أن يكون :

وهى بحوث هدفها الرئيسى هو **ما ينبغى أن تكون عليه الظواهر الاجتماعية** طبقاً للمنظور الذى ينظر منه كل منهم إلى المجتمع . بمعنى أنها دراسات إصلاحية ترمى إلى تغيير النظم وإصلاح الحياة الاجتماعية على الوجه الذى يلائم نظريات أصحابها فى العدالة والسعادة والفضيلة وما إلى ذلك . ومن أمثلتها بحوث أفلاطون فى كتابية « الجمورية والقوانين » ، وأرسطو فى كتابيه « الأخلاق والسياسة » ، والفارابى فى كتابه « آراء أهل المدينة الفاضلة » ، حيث كان هدف كل منهم الوصول إلى المجتمع الذى ينبغى أن يكون فى مختلف ظواهره ، أو فى بعضها ، حتى يكون مجتمعاً فاضلا فى نظره ، ووفق ما يذهب إليه من آراء فلسفية عن مختلف شئون الاجتماع والأخلاق ومقومات الحكم وما إلى ذلك .

ومن الواضح – أيضاً – أن هذه البحوث لا تدخل فى نطاق علم الاجتماع على إعتبار أن هذا العلم ، كما هو معروف ، لا شأن له بما ينبغي أن يكون ، وإنما يتناول بالدراسة ما هو كائن للكشف عن طبيعته وقوانينه والعلاقات التى تربط بين مختلف الظواهر الاجتماعية.

نخلص من هذا إلى أنه لا يوجد بين الدراسات الاجتماعية السابقة على مقدمة ابن خلدون نوع من الدراسات يتفق مع ما نسميه الآن بعلم الاجتماع ، وأنه قبله لم يفكر أحد في إنشاء ذلك العلم أو ضع أساس له لأن دراسة ظواهر علم الاجتماع لا تتاح إلا لمن تثبت لديه أنها لا تسير حسب الأهواء والمصادفات ، وإنما تسير حسب قوانين ثابتة مطردة وهذه الحقيقة لم يصل إليها تفكير أحد من قبل ابن خلدون فضلاً على أن نقيضها كان هو المسيطر على أفكار الباحثين جميعاً ، لأنه كان يُعتقد أن الظواهر خارجة عن نطاق القوانين وخاضعة لرغبات القادة وتوجيهات الزعماء والمشرعين ودعاة الإصلاح الاجتماعي .

**ملاحظة :**

**القوانين** عند أوجست كنت هي **العوارض الذاتية** عند ابن خلدون ، **وعلم الاجتماع** عند أوجست كنت هو **علم العمران البشري** عن ابن خلدون .

**خطوات ابن خلدون لإنشاء علم الاجتماع** : تناول الموضوعات التالية في سبيل إنشاء علم الاجتماع :

**أولا : موضوع العلم وظواهره وأهدافه :** توصل إلى أنها يجب أن تدرس دراسة موضوعيه كما تدرس ظواهر بقية العلوم الأخرى ، وذلك للوقوف على طبيعتها وما يحكمها من قوانين وبذلك وضع أسس علم جديد اسماه **(علم العمران البشري)** أو **(الاجتماع الإنساني)** .

١ – **موضوع علم الاجتماع :** يدرس هذا العلم **الظواهر الاجتماعية وتعرّف على أنها القواعد والاتجاهات العامة التي تتخذ لتنظيم الحياة وتنسيق العلاقات التي تربط بين أفراد المجتمع بعضهم ببعض وتربطهم بغيرهم.** ولم يحاول ابن خلدون تعريف هذه الظواهر ولا أن يبين

خصائصها ، ولكنه كان لديه فكرة واضحة عن هذه الظواهر ومميزاتها واتساع نطاقها ، ولم يغادر أي نوع منها مثل الأسرة والتربية والاقتصاد والأخلاق إلا وقام بدراستها ، ومن أهم خواص هذه الظواهر أنها لا تجمد على حال بل تختلف في أوضاعها باختلاف الأمم والشعوب وتختلف في المجتمع الواحد باختلاف العصور ، وهذا ما يميز علم الاجتماع عن بقية العلوم الأخرى وترتيباً على ذلك فإن موضوع علم الاجتماع هو (**بنو الإنسان في وجودهم الذي يقوم على الاعتماد المتبادل** ) وليس معنى ذلك أن موضوعه جسم الإنسان وما يتصل به من أعضاء ووظائف وإنما يقوم على الاهتمام بما يحدث عند لقاء إنسان بآخر أو عندما يشكل الناس جماعات أو عندما يتعاونون أو يتقاتلون ... **إذا فموضوع علم الاجتماع ليس على الإطلاق فرداً واحداً ولكنه يمثل على الأقل فردان يكونان معاً علاقة بشكل ما** . وتتنوع الظواهر الاجتماعية فمنها ما يتعلق بشئون السياسية ونظم الحكم ، منها ما يتعلق بشئون الاقتصاد ونظم إنتاج الثروة وتداولها وتوزيعها واستهلاكها ، ومنها ما يتعلق بشئون الأسرة ونظم الزواج والطلاق والقرابة والمواريث ومنها ما يتعلق بشئون الأخلاق ، والتربية ونظم الإعداد للحياة ، ومنها ما يتعلق بشئون التكتل الاجتماعي نفسه ، وشئون اللغة والتفاهم ونقل أفكار الناس بعضهم إلى بعض ومنها ما يرتبط بشئون الفن والجمال ... الخ .

## المحاضرة الثامنة

## تابع ابن خلدون وعلم العمران

٢ – **التقسيم المنهجي لظواهر علم الاجتماع** : طالب ابن خلدون بأن يكون بحث هذه الظواهر في مجموعتين على النحو التالي :

أ – **ظواهر تتعلق ببنُية المجتمع** : أو ما يعرف **(بالمورفولوجيا الاجتماعية)** وهي مجموعة الظواهر التي تتصل بالبدو والحضر ، وأصول المدنيات القديمة ، وتوزيع أفراد الإنسانية على المساحة التي تشغلها ، والنظم التي تسير عليها المجتمعات في هجرة أفرادها ، وتخطيط المدن والقرى ، **وأثر البيئة الجغرافية في هذه الظواهر** ، وهذه الشعبة أطلق عليها **دور كايم** علم البُنية الاجتماعية أو المورفولوجيا وهو يعتقد أنه هو أول من فطن إلى مسائلها وخصائصها ، و لم يدر أنه سبقه في ذلك ابن خلدون قبل خمسة قرون .

ب – **ظواهر تتعلق بالنظم العمرانية** : أي النظم الاجتماعية ، وتختلف هذه النظم باختلاف وجوه النشاط العمراني وقد تناول دراسة كل مجموعة متجانسة على حدة ، وعرض في ثنايا دراساته تلك إلى الظواهر السياسية والاقتصادية والتربوية والأسرية والأخلاقية والجمالية واللغوية والدينية .

٣ – **هدف علم الاجتماع** : هو دراسة الظواهر الاجتماعية للكشف عن العلاقات التي تربط بينها والقوانين التي تحكمها ، **إذاً فالغرض النهائي والأهم هو الوصول إلى تلك القوانين**

**وينقسم هدف علم الاجتماع إلى قسمين :**

أ –**هدف مباشر** : وهو الذي يقوم على أسس نظرية هدفها الكشف عن طبيعة الظواهر الاجتماعية ووظائفها والوقوف على القوانين التي تخضع لها .

**ب – هدف غير مباشر** : يتلخص في الانتفاع بحقائق الاجتماع وقوانينه في تصحيح حقائق التاريخ وتعليل حوادثه وأخباره ، حيث كان ابن خلدون حريصاً على تخليص البحوث التاريخية من الأخبار الكاذبة والخاطئة ، واعتبرها غاية مضافة إلى غايات علم العمران .

وثمة نقطة تجدر الإشارة لها وهي أن ابن خلدون كان يدرس الظواهر في حالة سكونها (بمعنى استقرارها) وفي حالة حركتها (بمعنى تطورها) ، وتعني بالمصطلحات الحديثة (الإستاتيكيا والديناميكيا) ، أي اهتم بدراسة الظواهر الاجتماعية من الناحية التشريحية بمعنى دراستها في الحالة التي هي عليها في مكان وزمان معينين ويدرس في الوقت نفسه تطورها والقوانين التي يخضع لها هذا التطور و لم يسبقه احد في الربط بين الناحيتين التشريحية والتطويرية في دراساته ، على حين أن أوجست كونت قد فصل بينها وهذا الفصل لا يتفق مع نظرية علم الاجتماع الحديثة ، وعلى ذلك فلم يسبق ابن خلدون على الدراسة بهذا الأسلوب أحد .

**ثانياً : ضرورات نشأة المجتمع :** هناك ضرورات تدفع الأفراد إلى تكوين مجتمع ومن أهمها من وجهة نظر ابن خلدون ما يلي:

١ – **ضرورة التعاون :** الفرد في حاجة إلى التعاون مع أخيه ، حيث يجد كل ما يشبع دوافعه ، وبذلك ينشأ التضامن الذي هو أقوى الدعائم التي يقوم على المجتمع ، ويعتبر ذلك استكمال لخواصه النوعية والجنسية .

٢ – **الضرورة الدفاعية :** وقد تكون لكي يحتمي الإنسان بغيره في المجتمع من مواجهة الحيوانات المتوحشة أو الدفاع عن الأفكار أو الأديان أو الآراء أو الفلسفات.

٣ – **ضرورة السلطة :** يتلمس منشأها فيجدها قائمة في درء العدوان بين الناس فلابد من وازع يدفع بعضهم عن بعض ولا تكفي التشريعات والقوانين بل لابد من وجود سلطة لتطبيق النظام وعدم إشاعة الفوضى .

٤ – **ضرورة الاستئناس بالغير :** وهو شعور غُرس في ذات الإنسان ويتصف بالتلقائية ، وإن كانت خاصية نفسية فإن تركيز ابن خلدون عليها يجعله يتفوق على وجهة نظر المادية التاريخية الحديثة التي تعتبر أن أساس المجتمع هو الضرورة الاقتصادية فحسب .

٥ – **ضرورة الحياة الجمعية :** هي تلقائية تعتمد على ميل الفرد للمشاركة في تحقيق الحياة الجمعية وحتى لا تكون سلسة من العدوان والاضطرابات ، فلا يستطيع الإنسان أن يعيش بمعزل عن الناس مهما كان يملك من مال أو سلطة أو جاه .

## المحاضرة التاسعة

## تابع ابن خلدون وعلم العمران

**ثالثاً : الظواهر التي تحيط بالإنسان في المجتمع** : يرى ابن خلدون أن المجتمع بالصورة التي عرضها ينطوي على مجموعتين من الظواهر ، وهي تؤثر في الإنسان وتتأثر به :

١ - **مجموعة الظواهر الطبيعية** وهذه يجدها الإنسان حوله ، ويخضع لمؤثراتها ، ويكيف نفسه وفقاً لمتطلباتها، ومكوناتها قد تتصل بالإنسان مباشرة مثل (الجنس ، والدين ) ، وقد تتصل بالإنسان بصورة غير مباشرة مثل العوامل المناخية كالحر والبرد وما بينهما من درجات .

٢ - **مجموعة الظواهر الاجتماعية** : وهذه يعمل المجتمع على إيجادها وهي النظم الاجتماعية التي تيسر له إشباع دوافع أعضائه ، ولا توجد كلها منفصلة وإنما المجتمع يمثل الجذع الذي تتفرع منه الأغصان التي هي الظواهر ، بمعنى أنها كلٌ متماسك الأجزاء ووحدة حية تتفاعل عناصرها وتتشابك آثارها ، ويترتب عليها ما نسميه **بالتيارات والإنسياقات الاجتماعية** ، ويرى ابن خلدون أن فصل أي ظاهره عن المجتمع يعود بالضرر على المجتمع وعلى الظاهرة نفسها.

**وهاتان المجموعتان من الظواهر** لا تعمل إحداهما مستقلة عن الأخرى ، وإنما لكل منهما تأثير على الأخرى ، بحيث إذا حللنا إحدى الظواهر الاجتماعية نجد أن بعض عناصرها يعود إلى أصول طبيعية والبعض الآخر يعود إلى أصول اجتماعية مماثلة لها .

**ابن خلدون منشئ علم الاجتماع** : مما يؤكد أصالة ابن خلدون كمؤسس لعلم الاجتماع هو قوله **أن الظواهر الاجتماعية لا تتأثر بالظواهر الطبيعية فحسب بل تتأثر بظواهر من نفس نوعها** ، ذلك أن المدرسة المادية التاريخية (مدرسة كارل ماركس ) تعتقد أن هذه الظواهر لا يمكن تفسيرها إلا بقوانين اقتصادية ، ومدرسة (تين وميشيل ) التي تفسرها بعناصر جغرافية ، ومدرسة (هربرت سبنسر) تفسرها بعوامل بيولوجية تطورية ، على حين أن المدرسة النفسية (تارد وجوستاف لوبون) تفسرها بعوامل اجتماعية من طبيعتها وهي تتفق مع ابن خلدون في هذه النقطة ، ومما يشير إليه في مقدمته أن:

- تأثير العوامل الطبيعية لا يحدث بدون التفاعل مع العوامل الاجتماعية .

– تأثير العوامل الطبيعية أقل كثيراً من تأثير العوامل الاجتماعية في بعضها البعض .

ومما يدل على وضوح فكرة المجتمع في ذهنه أنه قارن بين المجتمعات الحيوانية والبشرية من حيث **الجوهر والعوارض** ، فاجتماع الحيوان يكون الدافع إليه **الفطرة (أي الغريزة )** أما الاجتماع الإنساني فالدافع إليه (**الفطرة والعقل معاً** ) ولا يسعنا أمام كل هذا إلا أن نقرر أن ابن خلدون هو المؤسس الأول لعلم العمران ، أي لعلم الاجتماع .

**أسئلة ذكرها الدكتور في نهاية المحاضرة :**

**س1** : أيهما اشد تأثيراً على الآخر العوامل الاجتماعية على الاجتماعية أو العوامل الطبيعية على الاجتماعية ؟

**الجواب** : العوامل الاجتماعية على الاجتماعية.

**س2** : ما هي مجموعة الظواهر التي تحيط بالإنسان ؟

**الجواب** : الظواهر الطبيعية والظواهر الاجتماعية .

**س3** : ماذا يسمى علم الاجتماع عند ابن خلدون ؟

**الجواب** : علم العمران البشري .

**س4** :بماذا تفوق ابن خلدون على غيرة في الضرورات الخمس ؟

**الجواب** : تفوق بالاستئناس بالغير.

**س5**: ما هو دافع التجمعات الإنسانية الفطرة أم العقل أم الحاجة الإنسانية ؟

**الجواب** : الفطرة والعقل معاً.

## المحاضرة العاشرة

## تابع ابن خلدون وعلم العمران

**رابعاً : مناهج البحث في علم العمـــــــــران** : اعتمد ابن خلدون في بحوثه على ملاحظة الظواهر الاجتماعية في الشعوب التي أتيح له الاحتكاك بها ، وتعقب هذه الظواهر في تاريخ هذه الشعوب في العصور التي سبقت عصره ، وتعقب نظائرها وأشباهها في تاريخ الشعوب الأخرى ، والموازنة بين هذه الأوضاع جميعها والوقوف على طبائع الظواهر وعناصرها الذاتية وصفاتها العرضية وما تؤديه من وظائف في حياة الأفراد والجماعات ، وفي ضوء هذه الاعتبارات استخلص ما تخضع له من قوانين وعلاقات .

ومن هذا يتضح انه اتبع في دراساته طريقة مغايرة لطرائق سابقيه ، بل أنه انتقدها وأظهر عدم ملاءمتها وقد استخدم طريقته الخاصة في البحث التي تشكل منهاجاً علمياً يقوم على : **الملاحظة والتجربة والمنطق العلمي واستقراء الحوادث بالإضافة إلى مزيد من الاهتمام بمنطق المقارنة والتحليل .**

واشترط ابن خلدون أنه يجب على عالم التاريخ قبل أن يفسر التاريخ ويعلله أن يلم بدراسة شئون العمران من سياسية واقتصادية ودينية حتى يستطيع في ضوء تلك المعرفة أن يصحح ما بين يديه من الحقائق ، ولعله يريد أن يقول **أن المؤرخ لكي يشرح ويفسر وقائع التاريخ ويتنبأ بما يمكن أن يقع من أحداث ينبغي أن يكون من علماء الاجتماع.**

**مراحل منهاج ابن خلدون** : هناك مرحلتين لبحث الظواهر الاجتماعية وهي :

**المرحلة الأولى** : التي تتمثل في إجراء **ملاحظات حسية** وتجميع الوقائع التاريخية لظواهر الاجتماع ، ونقصد بذلك جمع المادة الأولية اللازمة لموضوع البحث من المشاهدات ومن بطون التاريخ والابتعاد عن الأخطاء التي وقع فيها من سبقه ، ونقد هذه الملاحظات والمشاهدات وهو ما يسمى بالنقد السلبي في البحث العلمي .

**المرحلة الثانية** : وتتمثل في **عمليات عقلية** يجريها على هذه المواد الأولية ، ويصل بفضلها إلى الغرض الذي قُصد إليه من هذا العلم ، وهو الكشف عما يحكم الظواهر الاجتماعية من قوانين ، وتعتمد هذه المرحلة على الوصف التحليلي أو الإيجابي الذي يقتضي من الباحث أن يتبع الأسس المنهجية (الملاحظة ، التجربة ، الاستقراء) للوصول على هذه القوانين.

**أخطاء الباحث في المرحلة الأولى من منهاج ابن خلدون** : أعطى ابن خلدون أمثلة على المرحلة الأولى توضح قصور منهاج سابقيه من المؤرخين ، فقد تبين له بالدراسة والبحث أنهم يسيرون في دراسة التاريخ على طريقة فاسدة كل الفساد ، وتجمع بين الغث والسمين ، كما وجدهم يعتبرون التاريخ نوعاً من القصص الشعبي الدارج الذي يرويه الرواة والحفاظ من العامة دون تصحيح أو تمحيص ووجد أن رواياتهم تتناقض مع الواقع ومع طبائع الأشياء ، وتجاوز نطاق العقل البشري إلى خوارق الطبيعية ، وقد ارجع ابن خلدون أسباب قصور مناهجهم إلى :

١ – **توهم الصدق وهو كثير** : على اعتبار أن الاعتماد على النقل دون النظر في أصول العادة وقواعد السياسة وشئون المجتمع ، وعدم قياس الغائب بالشاهد ، والحاضر بالذاهب ، لا بد أن يؤدي بنا إلى البعد عن الحقيقة الكاملة .

٢ – **التشيعات للآراء والمذاهب**: إن النفس إذا كانت على حال الاعتدال في قبول الخير أعطته حقه من التمحيص والنظر ، حتى تتبين صدقه من كذبه ، وإذا خامرها تشيع لرأي أو نحلة قبلت ما يوافقها من الأخبار لأول وهلة .

٣ – **الثقة بالناقلين** : أن تصديق الباحث لما يسمعه كما يرويه ثقاة المؤرخين غير كاف ، وإنما عليه أن يضع الحقائق التاريخية تحت مجهر الطريقة النقدية بوجهيها :

أ – **النقد الداخلي** : وهو أنه يجب على الباحث أن يناقش الرواية في ذاتها وأن يتعرف إلى أي مدى تتفق مع طبيعة الأمور ومع الظروف والملابسات التي يحكيها الراوي.

ب – **النقد الخارجي** : وهو أنه يجب على الباحث من أن يتأكد من أمانة الراوي وصدقة وسلامة ذهنه وطهارة عقيدته ومتانة خلقه وقيمة شخصيته .

٤ – **أخطاء الذهوب عن المقاصد** : فكثير من الباحثين لا يعرف القصد مما عاينه أو سمعه ، وينقل الخبر على ما في ظنه وتخمينه فيقع في الكذب ، ويغض الطرف عن الغاية المستهدفة من قص الحوادث أو سرد الروايات .

٥ – **تزلف العلماء لأصحاب النحلة بالثناء والمديح** : وهو تزييف للحقائق يجعل كل شيء بعكس ما هو عليه ، وذلك للوصول للمناصب أو الجاه أو السلطان وبالتالي فبحوثهم هؤلاء مليئة بالمتناقضات .

٦ – **جهل المؤرخين بطبائع الأحوال في العمران** : وهذا الجهل يعتبره ابن خلدون خطأً فاضحاً ، وأنه يجب على الكاتب في التاريخ ألا يكتفي بالوصف بالكتابة فقط بل لا بد أن يكون مدرك لشئون العمران السياسية أو الثقافية أو الدينية.

## المحاضرة الحادية عشرة

## أوجيست كونت وعلم الاجتماع

بدأ الدكتور المحاضرة بمقارنة بسيطة بين ابن خلدون وأوجست كونت ضمنتها لكم في هذا الجدول :

| | ابن خلدون | أوجست كونت |
|---|---|---|
| **مسمى هذا العلم عنده** | علم العمران البشري | علم الاجتماع |
| **الفكرة الأساسية** | العوارض الذاتية | القوانين |
| **توصل إلى هذه الفكرة من خلال** | قراءة التاريخ | الحياة الاجتماعية في فرنسا في تلك الفترة |

**أوجيست كونت :** عاش خلال الفترة (1798- 1857) وهو فيلسوف اجتماعي فرنسي من فكري القرن التاسع عشر ، التقى بسان سيمون وهو في العشرين من عمره ، وكان يقرأ البحوث ويلخصها له ، كما كتب الكثير من المقالات العلمية في مجلة المنظم ، وكان يقول ( **إن إتصالي بسان سيمون قد علمني ما لم يكن في إمكاني أن أعرفه لو قضيت عشرات السنين بين أحضان الكتب وحدها** ) ثم عاد بعد انفصاله عنه وهاجمه هجوماً قاسياً وأنكر أي فضل له عليه ، وكان يعتقد أن العلوم مرت بثلاث مراحل هي : الدينية ، الفلسفية ، الوضعية إلا الدراسات الاجتماعية لم تمر بتلك المراحل ، ثم تحدث عن علم الاجتماع بين **الاستاتيكيا الاجتماعية والديناميكيا الاجتماعية .**

**ملاحظة : تحدث الدكتور أنه من الصفحة الثانية والسبعين إلى منتصف الصفحة الثامنة والسبعين لسنا مطالبين به فهو للقراءة فقط .**

**قواعد فهم الظواهر الاجتماعية :** هناك قاعدتين لكي يفهم الناس علم الاجتماع :

١ - **أن تكون ظواهر الاجتماع خاضعة لقوانين ولا تسير وفق الأهواء والمصادفات** وهو ما تحدث عنه ابن خلدون سابقاً ، على اعتبار أن فهم هذه الظواهر بالطريقة الوضعية وسيلة للوصول للقوانين ، وهذه الظواهر جزء من الطبيعة الكلية وهذه الطبيعة أخضعت للقوانين ، فإن الظواهر الاجتماعية بالضرورة تخضع للقوانين.

٢ - **تيسير وسائل فهم الناس للقوانين التي تخضع لها ظواهر الاجتماع** وهذا لا يتأتى إلا إذا كشف الباحث عن هذه القوانين ولا يمكن الكشف عنها إلا بدراسة هذه الظواهر دراسة وضعية ، من خلال طبيعتها والعلاقات التي تربطها بعضها ببعض وتربها بغيرها ، **وعلى أساس نتائج هذه الدراسة يتوقف إصلاح الفكر وانسجامه ، وعلى أساس إصلاح التفكير يتوقف إصلاح الأخلاق ، وعلى أساس إصلاح الأخلاق يتوقف الإصلاح الاجتماعي .**

**النظرية الاجتماعية لأوجيست كونت :** وهي تتكون من قضيتين أساسيتين ومترابطتين :

**الأولى : قانون أوجيست كونت ذو المراحل الثلاث** وهو يعني أن كل ميدان من ميادين المعرفة قد مر في تطوره بثلاث مراحل **وهي :**

**أ – المرحلة اللاهوتية (الدينية).**

**ب – المرحلة الميتافيزيقية (الفلسفية).**

**ج – المرحلة الوضعية .**

والعلوم كما يعتقد كونت إما نظرية أو عملية تطبيقية حيث تهتم الأولى بتناول الظواهر الملموسة أما الثانية فتعمل على اكتشاف القوانين الطبيعية التي تحكم هذه الظواهر وتحكم وجودها وتتبعها ، وانتهى كونت من هذا التحليل أن جميع ميادين المعرفة قد وصلت إلى المرحلة الوضعية فيما عدا ميدان واحد ، وهو ميدان الدراسات الاجتماعية ، وبالتالي نادى بضرورة قيام علم الاجتماع لإتمام تلك السلسلة .

**الثانية : تتمثل في مبدئه النظري ، ومضمونه أن العلوم تنتظم في نسق تسلسلي يشغل علم الاجتماع قمته** ، وتفسير ذلك أن العلوم النظرية تشكل سُلّماً أو سلسلة تعتمد فيها كل حلقة على تلك التي تسبقها لاهتمامها بظواهر ملموسة وتتميز بكثرة التركيب ، وتحتل الرياضة قاعدة السلم لأنها تهتم بالجوانب المجردة لجميع الظواهر ، ويليها في الترتيب الميكانيكا التي كان كونت يخلط بينها بصفة دائمة وبين الفلك ، وهو العلم الذي حقق في عصره تقدماً ملموساً ، ثم الفيزياء فالكيمياء فالبيولوجيا ، **وفوق كل ذلك يتربع العلم الجديد وهو الفيزياء الاجتماعية أو علم الاجتماع .**

## المحاضرة الثانية عشرة

## أوجيست كونت وعلم الاجتماع

**شعبتا علم الاجتماع** : الدراسة في علم الاجتماع تكون من منظورين هما :

١ – **الاستاتيك الاجتماعي (السكون الاجتماعي)** : وهو دراسة المجتمعات الإنسانية في حالة سكونها دراسة تشريحية ، وذلك باعتبارها ثابتة في فترة معينة من تاريخها ، ووظيفة الاستاتيك هي دراسة هذه النظم في عناصرها ووظيفتها ، بالإضافة إلى الدراسة الاستقرارية بهدف الكشف عن القوانين التي تحكم التضامن (الترابط) بين النظم الاجتماعية .

٢ – **الديناميك الاجتماعي (الحركة الاجتماعية)** : هو دراسة قوانين الحركة الاجتماعية والسير الآلي للمجتمعات الإنسانية ، والكشف عن مدى التقدم التي تخطوه الإنسانية في تطورها ، بمعنى أنه يدرس الاجتماع الإنساني في جملته وتفصيلاته ، ومن ناحية تطوره وانتقاله في عمومه من حالة إلى حالة أخرى .

وبعبارة موجزة فإن كونت يرى أن الاستاتيك الاجتماعي يقوم على أساس فكرة (التضامن والنظام) ، بينما الديناميك الاجتماعي يقوم على أساس فكرة ( التطور والتقدم) وقد أهتم كونت بالديناميك الاجتماعي ويعتبرها أفضل من الاستاتيك الاجتماعي التي لا تستطيع الوصول إلى قوانينه بدون الاستعانة بالقوانين الديناميكية التي تسود المجتمع .

**مراتب دراسة العلوم** : أقلها وابسطها التساؤل ، وأعلى من التساؤل الفرضية ، وأعلى من الفرضية النظرية وأعلى من النظرية الحقيقة . (ذكرها الدكتور في المحاضرة وهي غير موجودة في الكتاب) .

**منهاج البحث في علم الاجتماع عند كونت** : هناك مجموعتين من الوسائل تشكلان عناصر هذا المنهاج وهما : أ – **الوسائل المباشرة** : ويقصد بها الخطوات المنهجية التي يستخدمها الباحث لكشف القوانين التي تخضع لها الظواهر الاجتماعية في نشأتها وتطورها ووظائفها ، وهذه الخطوات هي التي تشكل قواعد منهاج البحث الاجتماعي .

**ب – الوسائل غير المباشرة:** وهي التي تنتج من العلاقات الضرورية التي تربط علم الاجتماع بغيره من العلوم الوضعية الأخرى ، والتي تيسر له الوقوف على نتائج وحقائق علمية لها أهميتها في ميدان البحث في مجالات علم الاجتماع.

**هذا وتقوم الوسائل المباشرة على** : الملاحظة ، التجربة ، المقارنة الاجتماعية ، المنهج التاريخي ، ويمكن إيضاح ما يقصده بكل وسيلة من هذه الوسائل بما يلي:

١ – **الملاحظة** : ليست شيئاً بسيطاً كما هو متصور ولكنها في حالة الدراسة العميقة لخصائصها كعملية أولية تبدو شديدة التعقيد ، بل عن الملاحظة العرضية تلزمنا باستخدام الفروض العلمية في تفسير أحاسيسنا نحوها ، فقد ندعي أننا نرعى العادات وكيف تمارس والتقاليد وكيف تحترم والأعراف وكيف تستخدم في الفصل بين المتخاصمين ، وقد أضاف إليها كونت تحليل ومقارنة اللغات والوقوف على الوثائق والسجلات التاريخية ودراسة التشريعات والنظم السياسية والاقتصادية ..الخ وبرر ذلك بأن الظواهر الاجتماعية شديدة التعقيد وكثيرة التغيير ودائمة التفاعل وبهذا فقد أحاطها كونت بكثير من الاحتياطات ، ويعتبر الملاحظة عنصر مساعد وليست عنصراً أساسيا من عناصر البحث الاجتماعي .

٢ – **وسيلة التجربة** :

والتجربة التى يقصدها كونت هى التجربة الاجتماعية ، أى مقارنة ظاهرتين متشابهتين فى كل المتغيرات ، ومختلفتين فى متغير واحد ، واختلافهما إنما يرجع إلى الحالة فقط ، ومثل هاتين الظاهرتين يطلق عليهما اسم التجربة المباشرة ، حيث يمكن التعرف على مدى الاختلاف بينهما . والتجربة بهذه الخصائص تختلف عن التجربة التى تستخدم أثنـــاء دراسة الظواهر الطبيعية أو الكيمائية أو البيولوجية . وأضاف أنه لن يكون لدينا – حينئذ – مانستطيع بفضله أن نحدد وجود حالتين من هذا القبيل فى علم الاجتماع .

ولما كانت الطبيعة الاجتماعية لم تقدم لنا مثل هذا النوع من التجارب المباشرة فانها قد وفرت لنا الكثير من التجارب غير المباشرة . وتلك تتوافر في الحالات « البائولوجية » أي الحالات المرضية التي تصيب جسم المجتمع مثل الثورات والفتن والانقلابات ، وألوان التمرد الأخرى التي ترجع في الغالب إلى تأثر القوانين الاستاتيكية والديناميكية بعوامل طارئة وتيارات وقتية . وكما أن العلاج الطبي يقضي على الداء الجسماني ، فإن العلاج الاجتماعي يقضي على الداء الاجتماعي . . . وقد دفعه هذا الاعتقاد إلى القول بأن الباحث الاجتماعي ينبغي أن يكون طبيبا أولا .. وانتهى إلى أن هذه الوسيلة غير مجدية في البحث الاجتماعي لأنها غير مواتية عند الحاجة إليها .

٣ – **وسيلة المقارنة الاجتماعية:** وهي تقوم على مقارنة مجتمعين لمعرفة أوجه التشابه والتباين بينها وقد تتخذ صورة أضيق من ذلك لمقارنة ظاهرة داخل طبقات المجتمع نفسه ، وقد تتسع لتشمل كل المجتمعات للوقوف على ما بلغت إليه من تقدم أو تخلف ، ومن الضروري في ذلك مراعاة مستوى التحضر والتمدن ومستوى المعيشة ومعايير الأخلاق والأذواق العامة واختلاف اللهجات ، وكل ما يؤثر في الظواهر الاجتماعية في كلا المجالين الخاضعين للمقارنة .

الجزئية التالية ذكرها الدكتور وليست موجودة في الكتاب : **المنهج الاستطلاعي** لا نحتاج أن يكون هناك فرضيات ، **المنهج الوصفي** قد يكون هناك فرضيات ونظريات وتساؤلات ، **المنهج التجريبي** لابد أن يكون هناك فرضيات بالدرجة الأولى لأنه أكثر عمقاً وأكثر دراسةً .

٤ – **الوسيلة التاريخية أو السامية** : وهي القاعدة الرابعة والأخيرة في المنهاج الوضعي ، ويقصد به المنهاج الذي يكشف عن القوانين الأساسية التي تحكم التطور الاجتماعي للجنس البشري ، على اعتبار أنه وحدة واحدة تنتقل من مرحلة إلى أخرى أكثر منها رُقياً ، وربط بين وظيفة هذا المنهاج وقانونه ذي الأدوار الثلاثة الذي أدعى أنه استخلصه من تحليل تاريخ الإنسانية ، غير أنه من الواضح أن وظيفة هذا المنهاج وظيفة تدخل في نطاق العلم ، ومن هنا فإنه لم يفهم من المنهاج الوضعي سوى معنى فلسفي بعيد عن طبائع الأمور ، ولا يمكن أن يؤدي إلى كشف

علمي مؤقت . وبهذا يمكن القول أن كونت لم يستطع استخلاص منهاج وضعي مناسب لأبحاث العلم الجديد الذي نادى به .

**في نهاية المحاضرة تحدث الدكتور أن هذه الوسائل الأربع هي للقراءة فقط دون الاختبار ، أما بالنسبة للمحاضرة الثالثة عشرة فهي للاستزادة دون أن تكون في الاختبار والمحاضرة الرابعة عشرة مراجعة لما سبق دراسته.**

**تمت الملزمة بحمد الله وفضله**

**وهي مطابقة للكتاب المصور مع إضافات بسيطة من طرح الدكتور أحمد الجمعان في المحاضرات.**